مجلة المعجمية - تونس

ع 5-6

1990

المعجم التاريخي العربي
(مفهومه ـ وظيفته ـ محتواه)

د . علي توفيق الحمد

المفهوم :

يتفق الباحثون والمختصون على جوهر مفهوم المعجم اللغوي ـ بشكل عام ـ حتى انهم يكادون يتفقون في الالفاظ التي استخدموها للتعبير عنه، وهو – عندهم – لا يكاد يخرج عن أنه «كتاب **يجمع كلمات لغة ما، مرتبة على نهج معين، ويشرحها شرحا يزيل غموضها،** بتوضيح معانيها، مضافا الى ذلك ما يناسبه من معلومات تعين الباحث على معرفة الكلمة واحوالها، ومعانيها، واستخداماتها»[1].

هذا هو المفهوم الذي ارتضاه معظم الباحثين العرب، ولكن هل يختلف مفهوم المعجم لديهم عنه لدى المراجع الأجنبية؟

للاجابة عن هذا السؤال، رأى الباحث ان ينظر في تعريف مادة

---

(1) انظر على سبيل المثال: د. أحمد/المعاجم العربية ـ دراسة تحليلية ـ (الكتاب الأول)، 17 18، وأ. الجرح/النشاط العربي المعجمي – أصيل أم دخيل – بحث في مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، 28، (1971 م) ص 167. ود. عمر/البحث اللغوي عند العرب – ط 2، 116، ود. فاخر/دراسات في المعاجم العربية، ص 5، ود. الطيب/معجمات العربية – مادتها ومناهجها، ص 14، وأ. الخطيب/من قضايا المعجمية المعاصرة، بحث في (المعجمية العربية المعاصرة) ص 597.

«معجم Dictionary » و«معجمة Lexicography » في بعض المعجمات الانجليزية الكبيرة، وفي دوائر المعارف في تلك اللغة.

ففي معجم «Collins Large Print English Dictionary » نجد تحت مادة (Dictionary) بيان نطقها، ومكان النبر فيها، ونوعها من اقسام الكلام ـ أنها اسم ـ وجمعها، وأصلها، ثم معاني الكلمة «معجم» ومفهومها، وقد ذكر لها معان ثلاثة، يهمنا في هذا البحث منها المعنى الاول، وهو مفهوم المعجم اللغوي الاحادي اللغة، وجاء فيه: «أنه كتاب فيه قوائم كلمات، مبوبة ألفبائيا في لغة ما، بتعريفات، وتوضيح أصول الكلمات، ونطقها... الخ، وذكر ان هذه الكلمة مرادفة لكلمة «قاموس Lexicon »[2].

وفي معجم «Webster's Third New International Dictionary » نجد تحت مادة (Dictionary): بيان نطقها، ونوعها ـ اسم ـ وجمعها، وأصلها، ثم معاني هذه الكلمة، وهي ـ عنده ـ تسعة معان، يهمنا منها المعنى الاول، جاء فيه :

«أنه كتاب مرجعي، يحتوي كلمات لغة ما (الانجليزية)، مرتبة ـ عادة ـ ترتيبا ألفبائيا، مع تعريفات عن صيغها، ونطقها، وعملها، وأصولها، ومعانيها، واستعمالاتها التركيبية بشكل عام. وذكر في آخر المعاني التسعة، أن هذه الكلمة مرادفة لكلمة (Lexicon) أيضا[3].

وفي معجم أوكسفورد التاريخي للغة الانجليزية (Oxford English Dictionary) نجد مفهوم المعجم لا يكاد يختلف عن مفهومه في المراجع السابقة، فقد جاء فيه تحت مادة (Dictionary) «أنه كتاب يختص بالكلمات الفردية ـ الشخصية ـ للغة، (او بعض الاصناف المعينة منها)، يوضح ضبط الهجاء، والنطق، والمعنى، والاستخدام، ومرادفاتها، واشتقاقها، وتاريخها، او بعض هذه الحقائق على الاقل،

---

(2) – Collins large Print english Dictionary, P.210, (Dictionary).

(3) – Webestr's Third New International Dictionary, (Dictionary).

وترتب المفردات وفق نظام معين لملاءمة الاحالات، وهذا النظام (الترتيب) ألفبائي الآن في معظم اللغات. وفي المعاجم الاكبر، توضح المعلومات المعطاة بالاقتباسات ـ الشواهد ـ من الادب، او المعجم، (القاموس). والمعاجم اللائقة ـ الممتازة ـ على نوعين: ثنائية اللغة او متعددتها، وأحادية اللغة، والأولى هي الأسبق والأقدم»[4].

وجاء فيه تحت مادة (Lexicon):انه معجم ـ قاموس ـ للكلمات، وتستخدم هذه الكلمة اساسا للدلالة على معجم اليونانية، او العبرية، او السريانية او العربية. وهذا الاستخدام المقيد ـ المقصور ـ يعود الى حقيقة وهي: أنه حتى المعاجم الاخيرة لهذه اللغات الخاصة كانت عادة باللاتينية، وفي اللغة الحديثة أيضا، تستخدم (Lexicon) عادة.

وتحت مادة (Lexicography): نجد أنها تعني كتابة أو تصنيف معجم، أو أنها فن أو مهارة كتابة المعاجم[5].

واذا انتقلنا الى دوائر المعارف ـ الموسوعات ـ ونظرنا فيها وجدنا مفهوم المعجم لا يكاد يختلف كثيرا عما ذكرته المعجمات، ولا عن المفهوم العام الذي التقى عليه الباحثون العرب.

ففي «موسوعة كل رجل Everyman's Encyclopaedia) الجزء الرابع، من الطبعة الخامسة، نجد تحت مادة (Dictionary) : أنه ـ بمعناه الحقيقي المميز ـ الكتاب الذي يحتوي قائمة من كلمات لغة ما، مرتبة حسب نظام محدد، عادة ما يكون ألفبائيا ـ مع شروح (توضيحات) لتلك الكلمات، وفي المعجم الشامل تعطى معلومات عن أصول كل كلمة، ويوضح فيه النطق الصحيح بنوع من الرموز»[6].

وفي موسوعة كولير (Collier's Encyclopedia) الجزء الثامن، نجد تحت مادة (Dictionary) : أنه «تصنيف ـ ترتيب ـ كلمات لغة ما، ترتيبا

---

(4) – The Oxford English Dictionary, V3, (Dictionary)

(5) – OED, V6, (Lexicon), (Lexicography). نفسه،

(6) – Everyman's Encyclopaedia, V.4, (Dictionary), P.390.

ألفبائيا مع شرح لمعانيها، واستعمالاتها، ثم تورد معاني المصطلحات الشقيقة ومفهوماتها المتنوعة الأخرى، حسب طبيعتها وموضوعاتها»[7].

أما دائرة المعارف البريطانية (Encyclopaedia Britannica) في طبعتها الخامسة عشرة ـ الجزء الخامس ـ فقد جاء في تعريف كلمة (Dictionary) : «أنه يضم مجموعة من الكلمات، مع معلومات عنها، وقد يحاول ضم مفردات اللغة، او مجموعة صغيرة منها. وفي الأساس يرتب المعجم قوائم من الكلمات، مع معلومات عنها، وتحاول هذه القوائم ان تكون مخزونا كاملا للغة. . . »[8].

ثم تتحدث عن كلمة (Lexicon) وعن الفرق بين المعجم والموسوعة، وعن تاريخ تصنيف المعاجم، واهم المعاجم المعروفة، ثم تخصص باقي الصفحات، وهي تزيد على أربع ، للحديث عن معجم أوكسفورد التاريخي (O E D) وفكرته، ومشروعه، وخطة العمل فيه حتى طبعه وظهوره. ثم تعرض ملامح العمل ومشكلاته في ذلك المعجم[9].

وبتفحص هذه التعريفات من المراجع المختلفة ـ العربية منها والاجنبية ـ نتبين انها جميعا تتفق في تصور جوهر مفهوم المعجم، وان هذا المفهوم يقوم أساسا على عناصر ثلاثة معروفة، وهي : مادة المعجم ـ كلمات اللغة، وشرح هذه المادة ـ ألفاظا ومعاني واستخدامات ـ وترتيب مواد المعجم ومداخله ومشتقاتها.

ولعل المراجع الأجنبية التي أحلنا عليها ـ أو معظمها ـ تميزت في تعريفها مفهوم المعجم بأنه يتناول في الشرح أصول الكلمات (Etymology) اذ يبدو اهتمام معجماتهم بهذا الجانب اوضح منه في معجماتنا العربية.

وكذلك، فقد حددت الترتيب المرضي والمتبع لديهم، وهو

---

(7) – Collier's Encyclopaedia, V.8, (Dictionary), P. 193.

(8) – Encyclopaedia Britannica, V.5, (Dictionary), P. 173.

(9) نفسه .PP. 718 - 722

الترتيب الألفبائي حسب منطوق الكلمة بكاملها، لانه الترتيب المعتمد والشائع ـ وربما المناسب ـ في معجماتهم، بينما تنوعت طرائق الترتيب في معجماتنا، وبخاصة القديمة منها.

بعد أن حددنا وتبينا مفهوم المعجم اللغوي بشكل عام، لابد من استعراض مفهوم المعجم التاريخي وتصوره لدى الباحثين وفي المؤلفات التي تناولت الموضوع وعنيت به، وكان ذلك منذ منتصف القرن التاسع عشر، وهو زمن بدء مشروع اول معجم تاريخي متكامل، وهو معجم أوكسفورد للغة الانجليزية (O E D)[10].

فقد تصور دوزي عام 1845 م هذا المعجم، أنه معجم يعرفنا بوضوح ودقة، كلما عدنا اليه، المعنى الدقيق لأي لفظ في أصل استعماله، بمختلف الدلالات التي طرأت عليه في جزيرة العرب وبلاد فارس والشام... الخ، أي في كل الأمصار التي كونت تلك الامبراطورية الشاسعة، التي امتدت ما بين بلاد الهند والحدود الفرنسية، هو معجم يرسم لنا ـ بالاعتماد على الشواهد والنصوص اعتمادا مستمرا ـ تاريخ كل لفظ وكل عبارة، ويميز بين المعاني الخاصة بكل لفظ في مصر عربي ما، والمعاني التي كان يفيدها في مصر آخر، بين مدلول كل لفظ عند الشعراء، ومدلوله عند الناثرين. ثم هو معجم يشتمل على كل مصطلحات العلوم والفنون مفسرة تفسيرا منهجيا[11].

ويعقب ابن مراد على ما تقدم بقوله «ويستنتج من هذا الراي ان المعجم المثالي في نظر دوزي هو المعجم اللغوي التاريخي، الذي يدون

---

(10) يجدر التنبيه على ان البدايات الأولى للمعجمة التاريخية ظهرت على يد S. Johnson باستخدامه المنظّم للاقتباسات لتوضيح التعريفات وتحقيقها. وباضافة Richardson مبدأ التوضيح التاريخي للأعمال المعجمية السابقة، وهذه المرحلة أطلق عليها المرحلة الثانية من صناعة المعجم. (OED, Historical Introduction, P. VII).

(11) - Dictionnaire détaillé des noms des vêtements chez les arabes, 1845, pp.V-VI نقلا عن د. ابراهيم بن مراد في بحثه/منزلة مستدرك دوزى من المعجمية العربية ـ في «في المعجمية العربية المعاصرة» ص 271.

شتات ألفاظ اللغة العربية وعباراتها، ويؤرخ لمختلف دلالاتها في مختلف العصور والامصار، بالاعتماد على استقراء النصوص»[12].

فمفهوم المعجم التاريخي في نظر دوزى يقوم على اعطاء المعنى الدقيق لأي لفظ استخدمته العربية في عصورها وأمصارها، والدلالات المختلفة لكل لفظ، وتطور هذه الدلالات تطورا تاريخيا، وتاريخ كل لفظ وكل تعبير، ومستويات استخدام الألفاظ، اعتمادا على النصوص والشواهد، لنتبين الدلالة المقصودة في كل نص وكل استخدام.

وعن أهمية التأصيل، وبيان أصول الكلمات التي استعملت في العربية، يقول دوزى في موضع آخر: «وجدت معاجم اللغة الفصحى التي تحوى كثيرا من الكلمات الأعجمية الأصل، لا تشير الا الى أصول قليل منها»[13].

من هذا نفهم اهتمامه بضرورة تقديم معلومات عن أصول الكلمات في المعجم العربي الذي يريده، وهو الذي عناه وحدد ملامحه، كما بينا في موضع سابق.

وبعد أن ظهر أول عمل معجمي تاريخي متكامل بصدور معجم أوكسفورد (O E D)، تقدم فيشر بمشروع لوضع معجم تاريخي للغة العربية، بعد ان كان بدأ المحاولة بنفسه، وكان يتوخى القيام به واتمامه، اذ وضع جذاذات كثيرة، تعد بداية صالحة لمشروعه، لكن المنية عاجلته عام 1949م، قبل انجاز هذا المشروع الضخم، وكان قد تقدم بمشروع رسمي لهذا العمل الطموح الى مجمع اللغة العربية القاهري، وضح فيه تصوره لهذا المعجم التاريخي الكبير، ومبادئه، ومنهجه في العمل[14].

---

(12) ـ نفسه/ص 272.

(13) دوزى/تكملة المعاجم العربية ـ ج 1 (الترجمة العربية) المقدمة ـ ص 27.

(14) انظر ذلك في: د. نصار 778 ـ 780، ود. درويش 137 وما بعدها، ود. عمر 198 وما بعدها.

ويتلخص مفهوم المعجم التاريخي في نظر فيشر بقوله: «ان منتهى الكمال لمعجم عصري ان يكون معجما تاريخيا، ويجب ان يحتوي المعجم التاريخي على كل كلمة تدوولت في اللغة، فان جميع الكلمات المتداولة في لغة ما لها حقوق متساوية فيها. . . ولكن المعجمات العربية بعيدة كل البعد عن وجهة النظر هذه، اذ أنها لا تعالج الناحية التاريخية لمفردات اللغة»[15].

وقد قام مشروعه على مبادىء يحسن ذكرها بايجاز[16]، لانها توضح مفهوم المعجم التاريخي ـ في نظره ـ وغرضه ومحتواه أيضا، وهي:

ـ المفردات: ينبغي ان يشتمل على كل كلمة وجدت في اللغة بلا استثناء، وأن يسجل هذا المعجم ما يعرف بالفصيح من المفردات، ومصادرها ـ في رأيه ـ كتب الأدب والحديث، والمؤلفات الاولى، ودواوين الشعراء الذين عاشوا في عصر الاحتجاج، حتى النصوص العربية القديمة التي وجدت على بعض اوراق البردي والنقوش، إضافة إلى المفردات المدونة في المعاجم العربية القديمة، وبخاصة تلك التي وردت لها شواهد، كما يمكن الاعتماد على المعاجم الاوروبية الكبيرة التي وضعت للغة العربية.

- ثم بيَّن طريقة جمع المواد وتنظيم هذه العملية.

ـ ووضح طريقة ترتيب الكلمات في المعجم.

ـ وبين أهمية الاصطلاحات ـ الرموز ـ في المعجم المنشود، وذكر ان الناحية التاريخية يمكن ملاحظتها بالنص على أول شاعر أو أديب استعمل تلك الكلمة في المعنى الجديد، وأبرز ـ أيضا ـ أهمية ذكر أصل الكلمة كلما أمكن ذلك. وعالج قضية أسماء الأماكن والنباتات والمعادن، بضرورة توضيحها توضيحا كاملا، كما ذكر ضرورة تسجيل المصطلحات العامة دون اسهاب.

---

(15) عن د. عمر 199 ـ 200.

(16) درويش 139 ـ نقلا عن «المقتطف»، عدد مارس 1949 م.

ـ ورأى أنه يحسن ترجمة المادة الرئيسية الى اللغات الأوروبية المشهورة أو احداها، تيسيرا على المستشرقين والباحثين الأجانب.

ثم تناول التقرير عرض منهجه في تصنيف الكلمات ومعانيها، واقترح ان يكون حسب وجهات نظر سبع[17]، يهمنا هنا عرض الناحية التاريخية، اذ رأى فيشر ان كل كلمة في اللغة العربية لها تطورها الخاص،ويجب ان يعنى بهذا الجانب، فقال : «والأهمية العظمى- مهما كان الحال ـ هي للموضع الذي وردت فيه الكلمة في آداب اللغة لأول مرة. . . ويجب ان تقيد ـ على حسب الترتيب التاريخي، بين أقدم الشواهد وأحدثها ـ المواضع التي يتبين منها أنها تعطي أوضح صورة من التطور التاريخي للكلمة ومعانيها»[18].

مما سبق يتضح ان تصور فيشر للمعجم التاريخي قام على اساس تدوين كل كلمة في العربية من عهد النقوش ـ أول نص مكتوب ـ حتى نهاية عصر الفصاحة والاحتجاج، مع بيان اصول الكلمات، وتتبع التطورات التي أصابت هذه الكلمات ومعانيها تاريخيا ـ زمنيا ـ كل ذلك مدعما بالنصوص ـ الشواهد والاقتباسات ـ من اللغة المكتوبة، من مصادرها المختلفة، والاهتمام بسياقات النص، والاستعمالات والأساليب الاستخدامية المختلفة. الا انه لابد من تسجيل مخالفتنا لمشروع فيشر، الذي ارتأى حصر المفردات بالفصيح فقط[19]، وان يتوقف تسجيل الكلمات حتى نهاية عصر الفصاحة والاحتجاج[20]، وهذا الأمر سيقصره على الانتقائية، ويجعله يهمل الثروة اللغوية

---

(17) سيعرضها البحث ويناقشها في موضع لاحق، عند تناول «المحتوى».

(18) د. درويش 141.

(19) انظر مبادىء مشروعه، وانظر د. عمر 199.

(20) حدده فيشر بالقرن الثالث الهجري (د. عمر 200، 201)، مع انه أورداستعمالات للزمخشري وهو من القرن السادس الهجري. وذكر د. درويش ان فيشر وضح في موضع آخر أنه لا ينبغي تحديد الفصيح بفترة معينة من الزمن. (د. درويش 146)، وهو ما نميل اليه ونأخذ به.

اللاحقة، ويهمل مسايرة مبدأ التطور على مستوى الألفاظ والمعاني.

وقد تناول الشيخ د. عبد الله العلايلي مفهوم المعجم التاريخي (النشوئي) في كتابه «مقدمة لدرس لغة العرب»، قال فيه: «المعجم التاريخي او النشوئي، يبحث في نشوء المادة وتطوراتها الاستعمالية، وتراوحها بين الحقيقة والمجاز، مقيّدة بالعصور ويكون على اسلوب مادي»[21].

وأضاف د. العلايلي في بيان منهج هذا المعجم قائلا: «ويدرس المعجم التاريخي نشأة المواد، وعروبتها، أو تعريبها، واختلاف اللغات واللهجات فيها، وما يتصل بذلك من اختلاف في النطق، او الصيغة، او المعنى، او الاستخدام، ويرتب ترتيبا تاريخيا بحسب ظهور الصيغ، اي حسب الترتيب الذي تنادي به النظرية الثنائية للغات، فهو يقدم البناء المعتل، ثم الثنائي المضعف، ثم المهموز، ثم المضاعف الرباعي، ثم الثلاثي، ثم الرباعي، وهو الترتيب الذي تنادي به النظرية الثنائية للغات»[22].

نتبين مما ذكره د. العلايلي ان مفهوم المعجم لديه قد تأثر بصناعة المعاجم التاريخية الحديثة، وأفاد من مذهبها، ومما قررته ووصلت اليه، ففيه تفصيل لوظيفته، اذ ذكر اضافة الى الناحية التاريخية والأصولية والاقتباسية والشواهد، التي عبر عنها بالاسلوب المادي، ذكر توضيح عروبتها او تعريبها، واختلاف اللهجات واللغات فيها، وبيان النطق والصيغة، والاستخدام، والمعاني وتطوراتها، الا انه اختط لنفسه منهجا في الترتيب يتفق ومذهبه الذي اختاره، وهو تبني النظرية الثنائية، التي ترى ان ظهور الثنائي كان اولا، يليه المعتل، فالمضعف، فالمهموز. . . الخ، وهذا موضع نظر ولا نوافقه على منهجه في الترتيب الذي قام على

---

(21) د. العلايلي/عن د. نصار 762.

(22) نفسه / عن د. نصار 762.

اساس النظرية الثنائية في نشأة اللغات.

وقد حاول الشيخ تطبيق مفهومه للمعجم التاريخي في معجمه «المرجع» الذي صدر جزؤه الاول سنة 1963م، عن مكتبة الفرح الحديثة في بيروت، فحاول تحقيق مبادىء نظريته على مستوى المادة والترتيب والتأريخ، فأرخ للالفاظ ودلالاتها بالاشارة الى العصر الذي وجدت فيه اللفظة، أو المعنى، أو الاستعمال.

وفي عمله هذا محاولة للتجديد، وتحديث صناعة المعجم على أسس تاريخية وأصولية، على ما فيه من قصور ونقص، لا يصل معهما الى مستوى المعجم التاريخي المنشود.

ويرى د. محمد عيد الطيب «ان المعجم اللغوي يهدف - الى جانب التأريخ لألفاظ اللغة - الى تأصيلها، بالنص على اصلها، والنص على طريقة نطقها، وما طرأ عليه، اضافة الى انه يقفنا على المستوى الاستخدامي للفظ، من حيث البيئة أو الطبقة الاجتماعية التي تستخدمه، والزمن الذي استخدم فيه... فهو - على وجه الاحتمال - ينحو الى تسجيل اللغة بكل مستوياتها الاستخدامية في احقاب التاريخ المختلفة، فهو يعتمد على علم اللغة الوصفي، ويستعين بعلم اللغة التاريخي، ويهتدي بعلم اللغة المقارن في تدوين المفردات والألفاظ، وارشاد الباحث الى مقوماتها الصوتية والبنيوية والدلالية، بل النحوية حين يحتاج الامر الى النص على حركة بنائها، ان كانت هذه الحركة ثابتة لا تتغير.

بل انه يستعين بعلم الاحصاء، في احصاء كلمات اللغة في مختلف العصور التي كتبت فيها لغتنا، وبعلم التاريخ، في الوقوف على الاحداث التاريخية، وما ساد المجتمع من ظواهر وعادات ومعتقدات، أثرت في دلالات الألفاظ، حتى يكون العمل المعجمي علميا متسما بالدقة المطلوبة في مختلف الاعمال العلمية»[23]

(23) د. الطيب 507، 508.

وفيما يتصل بالشرح والتفسير، يرى د. الطيب «أن هذا المعجم يجب ان يتقصى معاني اللفظ في مختلف العصور والبيئات، ولدى كل الطبقات الاجتماعية، سواء كان اللفظ عربيا اصيلا فصيحا، أو كان معربا او دخيلا أو مولدا، تذكر معانيه كلها دون اهمال معنى منها، مع مقارنة هذه المعاني في لغتها الاصلية ـ في المعرب والدخيل ـ بمعانيها في العربية»[24].

وعن الشواهد والاقتباسات، «ينبغي الا يخلو من الشواهد، غير ان طريقة الاستشهاد ينبغي ان تختلف عن طريقة استشهاد المعجميين القدامى، فلا يذكر من الشواهد الا معلوم القائل، او على الاقل معلوم الرواية، عن الثقة الدقيق الضبط غير المتهم، مع ذكر المرجع والمصدر الذي ورد فيه الشاهد»[25].

هذا التصور الذي قدمه د. الطيب لمفهوم المعجم المنشود، استفاده مما توصلت اليه صناعة المعاجم الحديثة، في وضع معجم لغوي تاريخي تأصيلي، قائم على الشواهد والسياقات، والاستخدامات المختلفة للكلمة او المعنى، وهو تصور ملائم قريب مما يرتضيه البحث.

وحول مفهوم المعجم اللغوي ـ بشكل عام ـ ويعنينا هنا الجزء الخاص بمفهوم المعجم التاريخي بالذات، فقد اوردت الموسوعة الامريكية الأكاديمية ما ترجمته: «حسّن القرن العشرون طرق إنتاج المعاجم وطوّرها، خاصة بالنسبة لظهور معاجم اللهجات، والمعجمات الخاصة، ومعجمات المصطلحات، **وتاريخ اللغات**، اذ استخدم الحاسوب على نطاق واسع، خاصة في تحديد الاستعمالات الخاصة، والمعاني الخاصة للكلمات، وفي تحليل الامثلة (الشواهد) من كتابات الماضي وتصنيفها، وتعد الدراسة المقارنة للغات وتأصيل الكلمات، احد

---

(24) نفسه 512.
(25) نفسه 513.

المجالات المثمرة النافعة للبحوث الجارية هذا القرن»[26].

يظهر لنا هذا النص عناية الدراسات اللسانية الحديثة الخاصة في مجال المعجمة، بالتأريخ لألفاظ اللغات ومعانيها، والاستعمالات الخاصة، والمعاني بأنواعها وتطوراتها، والشواهد ـ الاقتباسات ـ وتأصيل الكلمات والمقارنة بين اللغات.

وحول المفهوم نفسه، وما طرأ عليه من تطورات في المعجمة بشكل عام في القرن العشرين، جاء في موسوعة العصر الحديث (New Age Encyclopedia) ما ترجمته: «أصبحت المعاجم تفيد المراحل الماضية للغة، تأسيسا على مستوياتها ـ سجلاتها ـ المكتوبة، وعلى مستوييها: الحديث والكتابة، اضافة الى معلومات لغوية اخرى.

فالمعاجم الافضل هي التي تعد تسجيلات كاملة للغة، والمعجم الجيد يحاول ان يسجل اللغة كما هي، ويسجل حقائق استخدامها، يقررها حسبما تسمح به المعرفة، وهو لا يقرر ما يجب ان يكون عليه الاستخدام»[27].

وتضيف: «أن المعاجم التاريخية تعتمد في دراسة الاصول (Etymology) نتائج الدراسات العلمية الحديثة للتغيرات الصوتية في تاريخ اللغات، وللمرة الاولى، اصبحت تستخدم الاقتباسات ـ النصوص والشواهد ـ لأغراض تاريخية، ولم تعد تستخدم الاقتباسات المؤرخة ـ المضمنة فيها ـ لتقرر سلطة الكتاب المتميزين في فرض استخدام خاص، بل تستخدمها لتوضيح السجل التاريخي للغة. وهي ـ أخيرا ـ تحدد تاريخ أول استعمال عرف لكل كلمة، وتوضح التغير

---

(26) – Academic Americain Encyclopaedia, Princeton, New Jersy U.S.A., 1980, V.6, (Dictionary), P.159 - 160.

(27) وهذا هو الفهم الحديث لوظيفة المعجم، حيث اصبح المطلوب منه ان يكون وصفيا، يصف ما كان وما هو كائن فقط، ولا يعني بالمنهج المعياري أو الفرضي، فلا يهتم بما يجب ان تكون عليه اللغة في استخدامها، حسبما كانت عليه المعاجم القديمة.

والتطور في معانيها، أو اسقاط هذه المعاني والكلمات من اللغة وهجرها»[28].

فما جاء في هذه الموسوعة، اضافة الى مفهوم المعجم ـ بشكل عام ـ انه يتناول بيان نطق الكلمة وتطوره ورسمها (تهجيها) ومراحله، واشتقاقها وتصريفاتها، وبيان معانيها وتطورها، ومستويات استخدامها، اعتمادا على الاقتباسات (الشواهد والنصوص)،ما جاء فيها: هو الاهتمام بالناحية التأصيلية للكلمات، والتأريخ لها ولاستخداماتها، ومعانيها، وما حل بهذه جميعها من تطورات وتغيرات، معتمدة في ذلك كله منهج الوصف المحض، على ان يكون المعجم سجلا تاريخيا شاملا لكل ما استخدم في اللغة.

ولو نظرنا في الموسوعة البريطانية (Encyclopaedia Britannica) لوجدنا المواصفات نفسها، والمفهوم نفسه للمعجم التاريخي[29].

وكل ما تقدم حول مفهوم المعجم التاريخي، لا يكاد يخرج عما ورد في مقدمة اول واضخم معجم تاريخي عرفه العصر الحديث، وهو معجم اوكسفورد للغة الانجليزية (O E D)[30]، ذلك المعجم الذي يعد ثورة في عالم المعجمة، وطور مفاهيم هذه الصناعة وأسسها، حتى وصلت الى ما هي عليه الآن.

بعد هذا الاستعراض، يستطيع البحث اقتراح تصور لمفهوم المعجم التاريخي العربي المنشود، فنقول «انه سجل شامل لكل مفردات اللغة العربية الاصيلة منها والمعربة والدخيلة والمولدة التي استخدمت في تاريخ حياة اللغة منذ بدايتها الموثقة حتى الآن، على مستوى لغة

---

(28) – New Age Encyclopaedia, 1980, V.6, P. 10, 11.

(29) سيعرض البحث في تلك الموسوعة في قسم «المحتوى»، لأن ما فيها مفصل واسع، يناسب ذلك الموضع.

(30) OED, Preface (P.V), Historical Introduction, (P.VII), General Eplanation, (P. xxVII).

التـأليف والكتـابـة، مع بيان تطور كل كلمة ورسمها، وما طرأ على نطقها، أو رسمها، أو صيغتها، أو تصريفها، منذ وجودها حتى اليوم، وتأصيلها، واستخداماتها المختلفة، ومستويات تلك الاستخدامات، ومعـانيهـا ودلالاتهـا المختلفـة، وتطورات تلك الدلالات، ووظائفها الـتركيبية ـ النحـوية ـ ومـوقعها ـ ان كان محدّدا ـ في الجملة، وإيراد النصوص والاقتباسات ـ الشواهد ـ الدالة التي وردت فيها الكلمة، وتوضح معانيها المختلفة، واستعمالاتها الدقيقة، كل ذلك على اساس التدرج الزمني، ليوضح التطور التاريخي لكل لفظة او معنى، على ان ترتب كل المفردات ترتيبا يناسب خصائص لغتنا الاشتقاقيّة[31]، يحفظ وحدة المشتقات التي تنتمي الى اصل ـ جذر ـ واحد وترابطها، ليبين علاقتها بمعنى الجذر، ويوضح ما بينها من علاقات على مستوى اللفظ والمعنى، على ان يكون ميسورا سهل المأخذ والتناول، وان يرتب المعاني على أساس منطقي يتدرج من الحقيقي الى المجازي، ومن العقلي الى الحسي، ومن العام الى الخاص، كل ذلك بأسلوب وصفي محض .

هذا المفهوم المقترح يستند الى الأسس الثلاثة التي يقوم عليها اي عمـل معجمي، وهي: المـادة وجمعهـا واستيعابها وشمولها، والشرح والتفسير اللازمان المرتجيان وتوضيحهما وتوثيقهما، ثم الترتيب المناسب.

ولعله يشمل كل الاقتراحات والتصورات التي قدمتها البحوث والمؤلفات المختلفة التي تناولت مفهوم المعجم التاريخي وأسسه.

الوظيفة :

لعل من المسلم به ان المعجم ـ أي معجم ـ مادة وشكل، او محتوى ومنهج، والعنصران معا يقوم عليهما بناء المعجم. وقد تكون المادة التي يحتويها المعجم في المقام الاول في نظر المعجمي والباحثين الذين

---

(31) سنتناول قضية الترتيب – بايجاز – في القسم الثالث من هذا البحث.

يتلقون المعجم على السواء، الا ان الشكل او المنهج وهو العنصر الثاني لا يقل خطرا عن سابقه، ويسهم بشكل ملحوظ في نجاح المعجم وانتشاره، واقبال الناس بله المثقفين منهم عليه.

ويتحكم في تحديد هذين العنصرين معا وظيفة المعجم، والغرض الذي صنف أساسا لخدمته وتحقيقه. فالوظيفة تحدد مادة المعجم: نوعيتها، وغزارتها، وطريقة تناولها، وشرحها وتفسيرها، والايجاز او الاطناب فيها، اضافة الى طريقة عرضها وترتيبها وتصنيفها واخراجها.

فوظيفة المعجم على هذا الاساس خطيرة، ولابد من أن يتمثلها المعجمي ويلتزمها في كل خطوات عمله، حتى يضمن تحقيقها، وحتى لا يقع في خلط او نقص او اخفاق، فمتى تحددت وظيفة المعجم بدقة ووضوح في ذهن المعجمي، استطاع ان يجمع المادة التي تحقق هذه الوظيفة، والتزم في عمله طريقا سالكا واضحا، على مستوى الجمع، والمعالجة، والتصنيف والترتيب والاخراج.

وتتعدد انواع المعاجم وفقا لوظيفة كل منها وهدفه، فالمعجم الذي يهدف الى الاشتقاقات وحسب ـ مثلا ـ معجم اشتقاقي، والمعجم الذي يهدف الى دراسة المعاني المجازية، معجم مجازي، وقل مثل ذلك في معجمات اللهجات، او الحرف والمهن، او الطبقات، او المصطلحات، أو التأريخي، أو الأصول، أو الأساليب، أو الموضوعات المختلفة، أو أحادي اللغة او ثنائيها، أو غير ذلك.

وأرى أن العلاقة بين مفهوم المعجم ووظيفته ومحتواه علاقة تبادلية، قائمة على تأثير كل منها في الاخر وتأثّره به، فمفهوم المعجم مستمد من وظيفته التي تحدد مضمونه، كما أن المفهوم الذي يرتضى للمعجم يحدد الوظيفة والمحتوى في آن واحد.

وما يؤثر في تحديد وظيفة المعجم، اضافة الى نوعه، نظرة المعجمي الى الفاظ اللغة موضوع الوصف، والعلاقات القائمة بينها، ونظرته ـ كذلك ـ الى جمهور القراء الذين يهدف المعجم الى خدمتهم

ومساعدتهم[32].

كما أن بيان وظيفة المعجم او هدفه يحدد لنا نوعية المادة التي يتضمنها، اضافة الى المنهج والترتيب الذي سنصطنعه. فالمعجم المدرسي ـ مثلا ـ يختلف عن معجم المثقفين، وهذا ـ الاخير ـ يختلف عن معجم المتخصصين (التاريخي) مثلا[33]وهذه كلها تختلف عن معاجم المصطلحات، أو اللهجات وغيرها، على مستوى المحتوى والترتيب معا.

وعند تحديد وظيفة المعجم، لابد من الأخذ بعين الاعتبار طبيعة اللغة، والألفاظ والمفردات من حيث فصاحتها وأصالتها أو عجمتها، وهل سنعنى بالألفاظ ومعانيها المرادفة، او سنهتم بالسياقات، ومستويات الاستعمال، وفيما اذا كنا سنعنى بالمصطلحات الفنية والعلمية، والتعابير الاصطلاحية (Idioms)، أو نقتصر على الالفاظ بأصل وضعها اللغوي ومعانيها الحقيقية الاولى، او تدرج تلك الالفاظ والمعاني وتطورها، وما طرأ على اللفظ من تبدلات او تغيرات صوتية او صرفية، أو ما طرأ على المعنى من تطورات، على مستوى التعميم او التخصيص، او الشيوع، او المجاز وغير ذلك، وما طرأ على رسم الالفاظ، أو تأصيلها مثلا.

ولما كان البحث مقصورا على المعجم التاريخي، وبما أننا نريد هذا المعجم المنشود تتويجا للجهود المعجمية العربية قديمها وحديثها، وقد حددنا مفهومه ـ وفقا للدراسات المعجمية الحديثة ـ بأنه معجم يعنى بكل لفظ استعمل او يستعمل في العربية المكتوبة، وبيان نطقه وتطور ذلك النطق ان طرأ عليه تطور، ورسمه وتعدده وتغيره، وتصريفه، وجوانبه التركيبية، ومعانيه وتطوراتها، ومستويات استخدامه، وأصوله

---

(32) د. القاسمي/بحث «ترتيب مداخل المعجم» مجلة اللسان العربي، مجلد 19، العدد الاول، ص 14.

(33) د. الطيب/500 ـ 508.

والتأريخ لكل الطوارىء والتغيرات التي اصابت اللفظ أو المعنى، اعتمادا وتسجيلا لكل الشواهد (النصوص والاقتباسات) الدالة المساعدة، كل ذلك بأسلوب وصفي تسجيلي بحت، أقول: لابد ان تكون وظيفته والهدف من تصنيفه تحقيق هذه الامور كلها، وفق احدث الاساليب التي عرفتها صناعة المعاجم حتى الآن، مستفيدين من الدراسات اللسانية الحديثة وتجارب الأمم التي سبقتنا في هذا المجال، ولعل أدقها وأشملها معجم أوكسفورد التاريخي للغة الانجليزية (O E D)، مع ضرورة استدراك ما قد يكون فيه من نقص أو خلل.

فعلى هدي المفهوم المقترح، ومع أخذ الدراسات الحديثة في صناعة المعاجم (Lexicography)، وتجربة معجم أوكسفورد، بعين الاعتبار، نستطيع تأكيد بعض القضايا، التي ينبغي ان تكون من وظائف المعجم التاريخي العربي، ولا بد من تحقيقها.

أولا : تلافي النقص والقصور والخلل الذي وقع في الاعمال المعجمية العربية القديمة، فبعد أن ذكر د. ابراهيم أنيس عيوب معاجم القدماء، قال: «من أجل هذا وغيره، فكر بعض المحدثين من المستشرقين في وضع معجم عربي حديث، تقتبس ألفاظه من النصوص، وفيه تراعى كل الدراسات الحديثة، التي يلحظها الدارسون في المعاجم الأوروبية»[34].

ويعني د. أنيس ببعض المحدثين من المستشرقين المستشرق الألماني فيشر، صاحب اول محاولة في هذا المجال، وصاحب مشروع المعجم التاريخي للغة العربية، الذي قدمه الى مجمع اللغة العربية القاهري.

ولابد ايضا من تدارك النقص والقصور اللذين وقعا في المعجمات العربية الحديثة ايضا، والاستفادة من آخر ما وصلت اليه صناعة

---

(34) د. أنيس/دلالة الالفاظ 249.

المعاجم في العصر الحديث، على ان تتجاوز ما قد يكون وقع في بعض المعجمات العالمية (الأوروبية) الحديثة، كإهمال المعاني الدقيقة للتعبيرات الاصطلاحية (Idioms) اذ يقول دافيد كريستال: «ولكن من الواضح ان هناك قضايا كثيرة يجب ان يكشف عنها النقاب، مثال: وصف النماذج المختلفة للعبارات الاصطلاحية (Idioms) الموجودة»[35].

هذا الراي ذكره كريستال في كتابه (What Is Linguistics) الذي صدرت طبعته الاولى عام 1968م، اي بعد صدور أكثر المعاجم الاوروبية والامريكية الحديثة المعروفة، ولذا فرأيه هذا يعد نقدا لتلك المعاجم، وبيانا لاوجه النقص فيها.

فينبغي التنبه ان يكون من أغراض معجمنا تدارك هذا النقص وأمثاله.

وقد ذكر د. حسين نصار «أن على المعجم اللغوي التاريخي ان يحتوي جميع الاساليب والتراكيب الخاصة الاصطلاحية (Idioms) التي اتخذت دلالة معينة، لا تتضح من المعنى المألوف للكلمات التي تتألف منها»[36]، وذلك مثل: كعب اخيل، مواعيد عرقوب، أعطى القوس باريها، وبذل جهده، ولقي حتفه، وغيرها.

ثانيا: ان ندرك ونحن في صدد تصنيف هذا المعجم «أن صناعة المعاجم علم وفن، فالمعجمي عالم ـ الى حدّ ما ـ لانه يحاول ترتيب وشرح الكلمات بدقة، وهو فنان ـ الى حدّ ما أيضا ـ لأنه يتحسس حاجات قارئيه المتنوعة ويشبعها. وان العنصر الانساني في هذا المجال مهم دائما، فبعض صانعي المعاجم اكتسبوا شهرة لكونهم ذوي أفكار

(35) كريستال/التعريف بعلم اللغة ـ ط 2 ـ ترجمة د. خليل، ط 1، ص 141. الا أن معجم اوكسفورد (OED) جاء في مقدمته (ص 5) أنه تناول كل كلمة وكل عبارة اصطلاحية (Idiom) تناولا تاريخيا، وهذا التناول هو مبرر وجوده.

(36) د. نصار ـ 776.

وآراء قوية ومستقلة»[37].

ثالثا: أن يشمل هذا المعجم كل لفظ عرفته العربية واستخدمته منذ عهد نقوشها في القرن الرابع الميلادي حتى اليوم، على أن يستوعب هذا المعجم: الأصيل والمعرب، والدخيل والمولد، والمهمل والميت والمهجور، وكل لفظ استخدم ولو لمرة واحدة على ألسنة أبناء الأمة، في أي عصر كان، وعلى أي مستوى لغوي أواجتماعي كان، حتى يصدق فيه انه سجل كامل ـ ديوان ـ لألفاظ لغة العرب[38].

وأن يعني بتسجيل أول مرة استخدم فيها النص، ثم يتتبع هذه الاستخدامات على مدى العصور المختلفة، ويجب ان يعنى بكل لفظ جاء في لغة الكتابة والتأليف، حتى لو كان عاميا، وأن يحاول تأصيله وتفصيحه، وأن يبيّن دلالته، مع الاشارة الى موطنه او قبيلته. على ان يضع رموزا تدل على نوع كل لفظ من حيث أصالته (فصاحته)، أو تعريبه، أو عجمته، أو توليده، الى غير ذلك.

ويرى د. أنيس أن أول وجود عربي يمكن ان يدون في المعجم يعود الى القرن الثالث او الرابع الميلاديّ، وهو زمن وجود أول نقوش عرفت، وهي نقش النمارة عام 328م، ونقش زبد ـ قرب حلب ـ عام 512م، ونقش حوار ان 568م[39].

ولكنه يقترح عدم الاعتماد على هذه النقوش في معرفة طفولة اللغة العربية، لأنه يرى أن لغتها مزيج من العربية والآرامية، وأن نقتنع بلغة نصوص الأدب الجاهلي، التي هي عربية صرف[40].

---

(37) Collier's Encyclopaedia V.8, P.193

(38) د. نصار 761

(39) د. أنيس/في اللهجات العربية 33

(40) نفسه 36

ويرى الباحث الا نهمل لفظا من لغة تلك النقوش، ان تأكدنا من اصالته العربية، اما ان تشككنا فيها، فيكتفى بلغة نصوص الادب الجاهلي، كما اقترح د. أنيس.

رابعا : الا يكتفى بالنقل عن المعجمات القديمة، الا بعد التحقق، وان يكثر المعجم المنشود من مراجعه، وان يعود الى المصادر الادبية والمؤلفات القديمة، ويدعم ما يسجله بالنصوص والاقتباسات التي وردت فيها، والا يهمل لغة النثر، اكتفاء بلغة القرآن الكريم او الحديث الشريف أو الشعر[41]. والا يقتصر في شواهده واقتباساته على انتاج كبار الادباء فقط، او امهات المراجع العربية، بل عليه ان يحاول مسح واستقصاء كل المؤلفات العربية المكتوبة، القديمة منها والحديثة، المطبوعة والمخطوطة حتى اليوم ما أمكن لان هذا الامر سيغنيه بثروة ضخمة من الالفاظ وصيغ المشتقات والمعاني، ويفيده كثيرا في دقة التأريخ والتطور التاريخي للغة بمفرداتها ومعانيها.

خامسا : ان تكون الدراسة التاريخية وتتبع التطور الكامل للالفاظ والمعاني في جميع العصور حتى اليوم دراسة علمية نظرية وعملية، اذ يقول د. حسين نصار في هذه القضية: «ولعلهم ـ اعضاء المجمع اللغوي القاهري ـ يريدون بالتطور التاريخي إبانة اصول بعض الالفاظ المعربة والدخيلة... أما اذا كانوا يريدون التطور الكامل للالفاظ في جميع العصور حتى اليوم، فهل يريدونها دراسة علمية نظرية او دراسة عملية؟ لقد كان الهدف من دراسة الاقدمين للعربية عمليا محضا، فأضاع علينا كثيرا من المفردات واثار منا الشكوى، فاذا ما اصبح هدف المجمع من هذا المعجم التاريخي نظريا محضا اضاع ما أضاع»[42].

---

(41) مشروع فيشر / عن د. درويش 139، ود. عمر 200.
(42) د. نصار 754.

سادسا : أن يتمثل هذا المعجم المنهج الوصفي المحض في تسجيل كل ما جاء في اللغة، من مفردات واستعمالات ودلالات، وهو آخر ما ارتضته صناعة المعاجم، وفق الدراسات اللسانية الحديثة، والا يجنح الى التعيير او الفرض في الاستخدام، يعزز ذلك ما ذكرناه في موضع سابق، وما جاء في موسوعة كولير (Collier's Encyclopedia) ما ترجمته: «لقد كان دور ـ وظيفة ـ المعجمي تثبيت اللغة (تعييرها)، ليعطي المعنى الصحيح، والتهجئة الصحيحة، ونبرة جميع الكلمات في الاستخدام المقبول، وليقر هذه الكلمات كما ينبغي ان يكون ضروريا، هذا كان دور المعجمي سابقا، وهو الامر او النصح باستعمال مضبوط (مناسب) للغة، ورفض او تحريم تلك التراكيب التي يعتقد ـ لسبب او لآخر ـ أنها غير مضبوطة.

امـا الآن، فدور المعجمي يقتصر على ان يسجل اللغة كما يجدها، اذ ان تغيراتها المستمرة خصيصة ـ ميزة ـ لكل عضو او كائن حي . . . فعليه ان يسجل كل كلمة تستعملها الجماعة»[43].

سابعا : إضافة الى إدراك ان من وظيفة المعجم التاريخي ان يبين تطور الكلمة وما طرأ عليها عبر العصور ورسم الكلمات وتهجئتها، ومراحل تطورها وتغيرها، وانشاء قوائم الكلمات، وتقسيم الدلالات وترتيبها، وتحديد الوظيفة الصرفية للكلمات، واعطاء معلومات نحوية تركيبية عن الكلمات الثابتة المبنية، والعوامل المختلفة، وتأصيل الكلمات استنادا الى آخر ما وصلت اليه البحوث اللسانية الحديثة، التاريخية والمقارنة[44]، ومستويات الاستعمال بسياقاتها، ومحيطها ـ بيئتها ـ الاجتماعية والطبقية.

---

(43) – Collier's Encyclopedia, V 14, (Lexicography), P. 533.

(44) – Encyclopaedia Britannica, V. 5, P. 719, 720. وسنعرض هذه العناصر تفصيلا في القسم اللاحق من هذا البحث.

وقد ذكر د. أحمد مختار عمر بعضا من هذه الوظائف في كتابه «البحث اللغوي عند العرب»[45].

كما اوردت موسوعة كولير (Collier's Encyclopedia) مجموعة من هذه الوظائف تحت عنوان «وظائف المعجم» جاء فيه: «ان الوظيفة الاساسية للمعجم ان يعرف معاني الكلمات، ويرتب هذه التعريفات والمعاني، ويورد السياقات، وان يُعنى بمرادفات الكلمة، ومدى الترادف بين كل كلمتين او اكثر، وان يسجل التغيرات او الاضافات في المعنى. وتوضح المعاجم مستوى الاستعمال للكلمة.

ويتضمن المعجم ايضا ذخيرة ضخمة من المعلومات اللغوية، فهو مصدر عام موثوق للتهجي الصحيح، ويعطي التهجي المفضل والمحدد حينما يكون غير واحد مقبولا، ويزودنا بنطق الكلمة، ونوعها من الكلام، وأصلها، ومصدرها، والتطور الذي طرأ عليها، ومرادفاتها ومضاداتها. وتزودنا المعاجم الكبيرة بمصطلحات فنية وعلمية، واول استعمال مسجل للكلمات، والاستعمالات التالية له، وتعد الاقتباسات التاريخية في المعجم التاريخي (O E D) مثلا، تعد درسا محسوسا فاتنا ـ ساحرا ـ في تغيرات معاني الكلمات. ويجب ان تكون التعريفات واضحة مفهومة، لا غموض فيها، والا تعتمد المرادفات. وينبغي ان تبقى المعاجم عصرية، تعايش التغيرات والتطورات السريعة في الحياة وتوازيها، فيجب ان تضمن الطبعات اللاحقة المنقحة والملاحق الكلمات المبتكرة، والمعاني المستحدثة، فالتمام او الكمال مهم للغاية»[46].

ولعل من الوفاء بغرض البحث ان نعرض ابرز وظائف معجم أوكسفورد التاريخي للغة الانجليزية (O E D) كما جاءت في مقدمته، الذي تقول فيه موسوعة (Collier): «وهو الاعظم والاشهر والاحسن

---

(45) د. عمر 117 ـ 118.

(46) (بتصرف) Collier's Encyclopedia, V.8, P. 193. –

بين المعاجم التاريخية العالمية ـ الجديرة بالعلماء ـ وكانت الاهداف الاساسية لمشروعه أن يشمل كل كلمة في اللغة الانجليزية منذ عام 1000م تقريبا، ويسجل في نظام تأريخي جميع استعمالات الكلمة، ومعانيها، ويوضح تطوراتها، باقتباسات (شواهد) من جميع مراحل الكتابة الانجليزية»[47].

ولدى النظر في تصدير معجم أوكسفورد للغة الانجليزية (O E D) ومقدمته التاريخية، يستطيع الباحث ان يتبين وظيفة هذا المعجم التاريخي الضخم، التي اقترحت، وأنيط به تحقيقها، وهي في مجملها لا تختلف عما قررته المصادر والمراجع التي احال عليها البحث ووقف عليها، اذ ان بعض تلكم المراجع، كانت ارهاصات اهتدى بها القائمون على نشر ذلك المعجم، وبعضها استمدت اقتراحاتها وأسسها من هدي ما تمّ في ذلك المعجم واحتواه من قضايا أساسية في ميدان المعجمة التاريخية.

ولعل أبرز جوانب وظيفة معجم أوكسفورد (O E D) كما وردت في التصدير والمقدمة التاريخية[48] يمكن اجمالها في ما يلي :

1 ـ إعداد قوائم كاملة مرتبة ألفبائيا، شاملة لمفردات اللغة الانجليزية، من بداية عصر التدوين حتى اليوم.

2 ـ إيراد كل الحقائق الوثيقة الصلة بصيغ الكلمات، والمعاني التاريخية، والنطق، والتهجي، والتأصيل، وتسجيلها.

3 ـ أن يحتوي كل مفردات اللغة الادبية، ولغة المحادثة، حية كانت، او مهجورة مماتة، او مصطلحات فنية، وكمية كبيرة من مفردات الاستعمال العامي واللهجي.

---

(47) نفسه/ص 196، وانظر معجم اوكسفورد التاريخي: المقدمة التاريخية (ص 8). والتصدير ص 5.

(48) – The Oxford Dictionary, preface, P.V, and the Historical Introduction, P. VII.

4 ـ قام أساسه على الاقتباسات والشواهد، اذ بلغ مجموعها خمسة ملايين اقتباس، من الأدب الانجليزي من كل الفترات التاريخية، منذ سنة 1250م، اختار القائمون على العمل 1.800.000 اقتباس واضح منها، وقد شكل هذا الصنيع ثورة في فن صناعة المعاجم.

5 ـ يقدم المعجم فائدة لقواعد اللغة الانجليزية لا تقدر، لانه مكن المختصين من الوقوف على صيغ مفردات لغتهم وتطورها، ومستويات استخدامها وتراكيبها، وتطور ذلك كله اي ان النحو الانجليزي سيكون مدينا لهذا المعجم منذ لحظة تصنيفه، ومستقبلا.

6 ـ ضم كل معلومة لغوية تاريخية حول كلمات اللغة الانجليزية، ومعانيها واستعمالاتها، اذا لم تبق نقطة لغوية تاريخية صحيحة لم يوضحها المعجم، بعد خضوعها لمراجعات المختصين.

7 ـ خلال عامي 1858م و1859م، اعلنت الجمعية اللغوية القائمة على مشروع المعجم خطة العمل، وطبع «اقتراح لطبع معجم جديد للانجليزية» باشراف الجمعية اللغوية (Philological Society) بمبادىء أساسية للعمل، أهمها مبدآن:

أ ـ ان أول متطلب لأي معجم، أنه يجب ان يشمل كل كلمة حدثت في آداب اللغة المكتوبة، التي يعترف المعجم انه يوضحها.

ب ـ يعتمد المبدأ التأريخي بشكل منسق مطرد ومنتظم في معالجة الكلمات واستعمالها الفردي والشخصي.

وفي موضع لاحق[49] من المقدمة التاريخية، نستطيع تبين بعض العناصر الاخرى في وظيفة هذا المعجم، خلال عرض اقتراح وضع معجم اساسي موجز للمعجم الكبير، ومنها – اضافة الى ما ذكر سابقا – : اشارات نقدية، الجذور، السوابق واللواحق، الالفاظ المتجانسة في الشكل (الرسم)، الاقتباسات – مختصرة – مع اسم الكاتب والكتاب

---

(49) نفسه، P. x

(المرجع) وتاريخ طبعه، ورقم الصحيفة والسطر لكل اقتباس ومعالجة العبارات الاصطلاحية (Idioms).

وقد أكدت المقدمة أهمية الشواهد ـ الاقتباسات ـ في تحديد معنى كل كلمة وتطورها وتطوره، وفي تتبع التطور التاريخي لكل منهما[50].

وقد كان غرض المعجم ان يتعامل مع جميع الكلمات العامة في لغة الحديث والأدب، وجميع الكلمات التي تقاربها في الخصائص، حتى شملت حدوده ميدان العلوم والفلسفة، وكلماتها التي تعبر الادب، وكذلك فقد كان غرضه ان يضم جميع الكلمات الانجليزية الشكل والصيغة، التي استخدمت في المصطلحات العلمية والتقنية، ما عدا تلك المصطلحات التي يكون شرحها غير مفهوم الا للمتخصصين، وهذه الكلمات ليست انجليزية الصيغة، ولا تدخل في الاستعمال العام[51].

ولعل في إيراد وظائف معجم أوكسفورد التاريخي هذه، فائدة وتأكيدا لما قدمه البحث من وظائف مقترحة مناسبة للمعجم التاريخي العربي المنشود، واستدراكا لما قد يكون فات البحث ذكره، وايضاحا لأي غموض قد يشتبه في تلك الوظائف المقترحة.

المحتـــوى :

تأسيسا على ما ذكرناه في موضع سابق، من أن المفهوم والوظيفة كليهما يحددان محتوى المعجم ومادته، وان بين هذه العناصر الثلاثة تأثرا وتأثيرا متبادلين، فان محتوى المعجم المنشود ينبغي ان يفي بما سبق ذكره في قسمي المفهوم والوظيفة.

ولضمان تنفيذ تلكم الوظائف، لابد ان يتضمن محتوى المعجم

---

(50) نفسه، P. XIV

(51) نفسه، P. XXVIII

المأمول المعالجة المناسبة على مستوى الألفاظ والمعاني، والشواهد (الاقتباسات) معروضة على أساس تاريخي، مراعيا الترتيب الملائم لطبيعة لغتنا وخصائصها، واليسر والسهولة في تناول المعجم واستخدامه، على مستوى ترتيب المداخل، والترتيب الداخلي لمشتقات كل مدخل، محققا الفائدة التربوية في التعلم، والفائدة المعرفية للناشئين والمتعلمين والترجمة[52].

وقد تضمن مشروع فيشر للمعجم التاريخي العربي منهجه في معالجة الألفاظ ومعانيها وشروحها وشواهدها، ورأى أن تعرض حسب وجهات النظر السبع التالية[53]:

1 ـ الناحية التاريخية: يرى ـ ورأيه صائب ـ ان لكل كلمة تطورها التاريخي الخاص، فيجب ان تقيد المواضع التي يتبين منها انها تعطي اوضح صورة من التطور التاريخي للكلمة ومعانيها، على حسب الترتيب التاريخي بين اقدم الشواهد وأحدثها.

2 ـ الناحية الاشتقاقية: تتناول بحث اصول الكلمات ونسبها وتوليدها، ويرتبط بهذه الناحية علم ضبط الهجاء، وترد الكلمات المعربة الى اصولها على قدر الإمكان.

3 ـ الناحية التصريفية: وتتناول تغير صيغ الكلمة المختلفة، كتصريف الافعال والاسماء، وان ينبه على جنس الكلمة من حيث التذكير والتأنيث، اذ كثيرا ما يغير بذلك معنى الكلمة، ويختلف استعمالها باختلاف الزمان والمكان، ووجود غير صيغة في تصريف الاسم او الفعل، وعدم وجود بعض الصيغ الممكنة وفق القياس المتوقع.

---

(52) أ. الخطيب/من قضايا المعجمية المعاصرة 629، ود. الحمزاوي/الاستيعاب في المعجم العربي الاوروبي، المصدر نفسه 371.

(53) مشروع فيشر للمعجم التاريخي العربي/عن د. نصار 778 ـ 780 ود. درويش 141 ـ 143.

4 ـ الناحية التعبيرية : وتتضمن تحقيق معنى الكلمة او معانيها، واعتبار ان المعنى الاول هو الذي يؤخذ من اشتقاق الكلمة، والاهتمام بترتيب المعاني المتعددة، بتقديم المعنى العام على الخاص، والحسي على العقلي والحقيقي على المجازي والشائع على المحدود، ومعاني الادوات النحوية بحسب استعمالاتها، ومراعاة علم المجاز وعلم الترادف، ومراعاة استعمال الكلمة اصطلاحيا في تحديد المعاني المختلفة.

5 ـ الناحية النحوية : وتتناول القضايا التركيبية النحوية او الاعرابية لبعض الكلمات والادوات، منها موضع ورود الكلمة في السياق ان كان لها موضع محدد، مثل: فقط، وانما، وأيضا، ومراعاة الاضمار والحذف، وتعدي الافعال ولزومها، واعراب بعض الكلمات، وبيان متى واين ظهر ذلك التركيب لأول مرة وآخرها.

6 ـ الناحية البيانية : تتناول علاقات الكلمة في التراكيب ووضعها، لعامل من عوامل البلاغة والبيان، كالاتباع والمزاوجة، والمشاكلة، والمبالغة، وازدواج عبارتين متضادتين للتعبير عن معنى واحد مبالغ فيه، والتراكيب التي جرت مجرى الامثال.

7 ـ الناحية الاسلوبية : وتحدد المحيط اللغوي الذي استعملت فيه الكلمة، وتتمثل في بيان مدى سعة استعمال الكلمة، كأن تستعمل استعمالا عاما، كاستعمالها في لغة القرآن والحديث الشريف، او اسلوب النثر، او الشعر، او الاسلوب التاريخي، او الفنون، او العلوم او غيرها، او استعمالها استعمالا خاصا، كالاسلوب الشخصي المحض، كان يميل مؤلف او شخص ما الى استعمال كلمة معينة، او تركيب معين بالذات وكانه من لوازمه، وربما لا ياتي عند غيره الا نادرا.

هذا إيجاز لتصور فيشر لمحتوى المعجم التاريخي بشكل عام، وفيه يركز على اهمية المستوى التاريخي في المعالجة، وتتبع التطور الزمني للكلمة او معناها او استخدامها.

واستكمالا لمعالم صورة المحتوى المنشود للمعجم المأمول، يرى البحث ان يعرض القضايا المقترحة على مستوى المحتوى، مفيدا مما

جاء في موسوعة كولير، والموسوعة البريطانية، وبعض الملاحظ في الدراسات اللغوية المعجمية الحديثة، واخيرا بعض الفوائد من تجربة معجم اوكسفورد التاريخي، التي عرضها في مقدمته وايضاحاته العامة في جزئه الاول على صعيد المحتوى.

فقد جاء في معجم أوكسفورد تحت عنوان «ايضاحات عامة»[54]، ان مجموع مفردات اللغة ـ معجم اللغة الانجليزية (The Vocabulary) فيها كتلة مركزية كبيرة من عدة آلاف من الكلمات أصيلة لا يشك فيها، وهي ما اطلق عليه الكلمات العامة (Common Words) بعضها من مستوى أدبي فصيح، وبعضها عامي، والاغلبية العظمى الباقية من هذه الكلمات العامة ادبي عامي في آن واحد، وترتبط دائرة الكلمات العامة المركزية من كل جانب بكلمات اخرى مختلفة، منها كلمات لهجات خاصة، او كلمات لغة خاصة منحرفة، او كلمات علمية، أو مصطلحات فنية، او كلمات اجنبية، وقد تدخل هذه الكلمات او بعضها الى جسم اللغة ـ كتلة الكلمات العامة ـ وهذه الانواع من الكلمات ليست محددة ومميزة ككلمات الكتلة العامة.

ويرى المعجم نفسه ان على المعجمي ان يضمن معجمه كل الكلمات العامة (Common Words) التي انتشرت في لغة الادب والحديث، وكذا الكلمات العلمية، والتقنية والعامية، واللهجية، والاجنبية، التي تكون قد ادخلت في الاستعمال العام، ودخلت في كتلة الكلمات العامة ومع ذلك، فعليه ان يعلم ان خطه هذا لن يرضي ناقديه، لان حقل الكلمات العامة يتسع بالنسبة لكل شخص باتجاه جهة اهتمام قراءاته، او بحوثه، او عمله، او اقامته المحلية او الاجنبية الخارجية، لان لكل واحد قاموسه الخاص، ويضيق باتجاه الجهة التي لا علاقة عملية له بها، فليست انجليزية شخص واحد هي كل الانجليزية.

---

(54) – OED, (general Explanation), P. XXVII

فلابد من ان يقتنع المعجمي بتقديم اكبر قسم من مفردات كل واحد، وهذا القسم الذي يقدمه المعجمي سيكون ـ بالضرورة ـ اوسع بكثير من مفردات شخص واحد بعينه.

اضافة الى ان الكلمات العامة ـ بجميع خطوطها المتباعدة والمختلفة، كالكلمات العلمية، والفنية، والعامية، واللهجية، والاجنبية التي تكمن في عدد غير محدود من الاسماء الخاصة الدقيقة او الدالة، وتقع خارج حقل المعجمة، تحتاج الى تقييم مفهوم بشكل ما، ليتحدد الموقف منها بشكل يقبل الحل الوسط، ويجب ان يأخذه المعجمي على عاتقه، ويتخذ قرارا بشأنه.

وهذه عقبة تواجه المعجمي عند بدء تصنيف كلمات اللغة.وما قيل هنا في اللغة الانجليزية، قد ينطبق على العربية، فالقدر الاكبر من كلمات لغة التأليف والانتاج الادبي عربي اصيل، ولكن يبقى قسم منه اعجميًّا معرّبا ، وهذا لا مشكلة في التعامل معه، فحكمه حكم العربي الاصيل، وقسم منه قد يكون اجنبيا دخيلا، او مولدا او عاميا، ولابد من قرار بشأنه، ويميل البحث الى معالجته ومعاملته كالعربي الاصيل، مادام دخل في الاستعمال العام، مع ضرورة الرمز لكل نوع للدلالة على اصله ومستواه.

واتّخذ قرار بالنسبة لقبول مفردات اللغة الانجليزية وتسجيلها في المعجم التاريخي (O E D) وهو انهم بدأوا بتسجيل الكلمات منذ بدايات ظهور اللغة المكتوبة عندهم، واصطلحوا عليها انها تبدأ نحو سنة 1150م، مع استبعاد اي كلمة ظهرت قبل ذلك، ويشك أنها ليست انجليزية نقية وأصيلة[55].

وبالنسبة للغة العربية، راى البحث ـ في موضع سابق ـ ان نفسح المجال لكل كلمة عربية اصيلة منذ عهد النقوش، مادامت تلك

---

(55) نفسه: P. XXVIII

الكلمة عربية اصيلة صرفا ، لا يشوبها شائبة من اللغات الاخرى، وليست لهجة محلية، مرورا بكل المؤلفات المطبوعة والمخطوطة حتى الآن.

وقد صنف معجم أوكسفورد (O E D) كلمات اللغة وعباراتها (Phrases) لغرض معالجتها وتضمينها المعجم أصنافا ثلاثة :

1 ـ الكلمات الرئيسية في اللغة (Main Words) وهي الكلمات المفردة، وتشكل جسم اللغة ومعجمها، ومعظم الثّروة اللغوية، وسنعرض أسلوب معالجتها بعد قليل.

2 ـ الكلمات الثانوية ـ التابعة (Subordinate Words) وهي الكلمات ذات الصيغ الغريبة، والمتحولة، والمخطوءة المحرفة التي وردت في المعاجم، والصيغ والتصرفات المتنوعة الشاذة من الكلمات الرئيسية، والمهجورة، وقد عالجها المعجم، وحدد شخصيتها، واعطى تاريخها بايجاز، واحيل بعضها على الكلمات الرئيسية التي تنتمي اليها، مع كلمة موضحة مرادفة، إذا كانت الكلمة المشروحة من المهجور[56].

3 ـ الكلمات المركبة ـ المجموعات ـ (Combinations)[57].

وهذه قد تكون مركبة بوصلة (ـ) بين جزأى التركيب، وربما لا يكون بين الجزأين وصلة، ووجود الوصلة او عدم وجودها قضية، فوجودها او عدمه قد يكون له دخل في المعنى وتحديده، فقد تلمح هذه الوصلة الى وحدة المعنى، او لا تلمح، وهي مشكلة ايضا على مستوى الشكل، كما هي على مستوى المعنى. علما بأن وجود الوصلة هذه نحويّ أساسا للربط بين الجزأين.

وتبرز مشكلة اخرى حول المركبات، هي : الى اي حد تعد هذه المركبات ـ المجموعات ـ مادة تهم المعجمي؟ والى أيّ حدّ تعد قضية نحوية تركيبية؟

---

(56) نفسه : P. XXVIII, P. XXXIII

(57) نفسه : P. XXVIII, P. XXXIII

ولابد للمعجمي من مواجهتها وحسم الأمر.

وقد قسمها المعجم إلى ثلاثة أقسام لغرض المعالجة:

أ ـ التراكيب التي احتفظت كل كلمة فيها بمعناها الكامل الاساسي، وتقع الصلة بين اجزائها تحت واحد أو أكثر من المقولات النحوية.

ب ـ التراكيب التي تعطي معاني خاصة، ولكن مازالت يقدر عليها بأن تشرح بإيجاز بكلمات قليلة، بربطها بشبيهاتها.

ج ـ التراكيب التي اكتسبت كلماتها تخصصا في المعنى من مكانها في التركيب الكلي، اي اصبح لكل منها معنى جديد بعد التركيب. او التي تستخدم بمعان مختلفة، او لها تاريخ طويل، وهي بهذه الخصوصية تحتاج الى معالجة بتوسع اكثر، وتحال كل كلمة منها على مكانها حسب الترتيب في المعجم، اذ عولجت هناك بكل الاعتبارت، كأنها كلمة رئيسية.

وعولجت العبارات (Phrases) تحت كلماتها القيادية الاساسية، كما عولجت الاسماء الخاصة ـ المتميزة ـ مثل Adam's Needle بوضعها تحت اسمها العام الشامل[58].

وبالنسبة لتصنيف كلمات اللغة العربية وفق التصنيفات السابقة في معجم أوكسفورد (O E D) يمكن الافادة منها على صعيد المحتوى بمعالجة بعض الكلمات الموضوعة، او المشكوك في اصالتها، او المحرفة، التي دخلت مع ذلك الى الاستعمال العام. كما يمكن الافادة من هذه التصنيفات في معالجة الامثال، والعبارات التي جرت مجراها، كقولنا: كعب أخيل، والصيف ضيعت اللبن، ومواعيد عرقوب، ولا ناقة لي ـ في الامر ـ ولا جمل، واياك ان يضرب لسانك عنقك، وقضى نحبه، وبذل جهده، وغيرها.

أما الكلمات الرئيسية المفردة (Main Words)، التي تشكل النسبة

---

(58) نفسه: P. XXXIV

الساحقة من معجم اللغة، فيرى البحث ـ بعد الاستنارة بما جاء في المراجع الاجنبية والعربية، ومعجم أوكسفورد بشكل خاص ـ ان معالجتها في المحتوى يمكن ان تكون على صعد ثلاثة، وهي : الألفاظ، الشرح والمعاني، الشواهد والاقتباسات التوضيحية.

أولا : الالفاظ (المفردات) :

المعجم في أصل وضعه ديوان لألفاظ اللغة، فهي الأساس فيه، لذا تستأثر ـ بمختلف جوانبها ـ باهتمام واسع، إذ يوضح المعجم كل ما يحتاج اليه الفرد في معرفة اي جانب من تلك الجوانب. وجوانب اللفظ التي يخدمها المعجم هي[59].

1 ـ النطق[60]: ينبغي للمعجم ان يُعنى ببيان نطق الكلمة، واختلافاته، واللغات او اللهجات الواردة عن العرب فيه، وتطور اختلافات النطق ان وجدت وتأريخها، مثل: كبُر وكبِر، ويحسَب ويحسِب، بما في ذلك تركّب اللغات او تداخلها ايضا، وهذا ذو صلة بأبنيه الكلمات الصرفية في لغتنا العربية.

2 ـ التهجي ورسم الكلمة[61] : ونعني به اثبات كل رسم عرف للكلمة

---

(59) اضافة الى تسجيل كل مفردات اللغة بكل انواعها ومستوياتها، ما دامت دخلت في الاستعمال العام على مستوى اللغة الادبية ولغة التأليف، كما اقترحنا في موضع سابق، حتى الكلمات المعيبة أو البذيئة ان وردت، فحقها أن تدخل المعجم، وحذفها ـ كما فعل معجم اوكسفورد ـ أمر لامنطقي، حدث بناء على مواقف اجتماعية معينة، بينما ذكرها في مواضعها الصحيحة من المعجم قضية علمية، ويؤدي الى تطهير النفاق الاجتماعي. انظر: Encyclopaedia Brit. V.5, P. 722

(60) معجم اوكسفورد التاريخي .OED, XXIX, XXXIV –
و .Encyclopaedia Britannica, V.5, 719 –
و .Collier's Encyclopedia, V.8, 193 –
ود. عمر 118، ود.الطيب 508

(61) معجم اوكسفورد التاريخي .OED, XXX –
و .Encyc. Brit. V.5. P.719 –
و .Collier's Ency. V.8, P.193 –
ود. عمر 118.

منـذ بدء استخدامها حتى الآن، وان ننص على التهجي المفضل او الصحيح حسب قواعد الاملاء الحديثة، ان كان للكلمة غير رسم في بعض الحالات، مثل: مائة ومئة، شئون وشؤون، رؤوف ورءوف، موسيقى وموسيقا، الخطى والخطا، الضحى والضحا، وغيرها كثير. على ان يقوم كل ذلك على اساس التتبع التاريخي وحسب ظهور كل رسم زمنيا، مدعّما بالشواهد والاقتباسات التي تشير الى عصر كل رسم.

3 ـ النص على حالة الكلمة ومستواها[62]: بان نرمز لها برمز يوضح هل هي مهجورة مماتة، او حيّة دارجة، او فصيحة اصيلة، او معربة، او دخيلة، او مولدة، او عامية دخلت في الاستعمال العام المكتوب او الادبي.

4 ـ النص على مستوى استخدامها ونوعه[63]: أهي علمية، أو فنية، او جغرافية، او ادبية، او اصطلاحية... الى غير ذلك ان كانت مقصورة على استخدام خاص لا تتعداه.

5 ـ تأصيلها[64]: موضحا المصدر الحقيقي للكلمة ان كان ذلك ممكن التحقق منه، ولا يجوز ان نعتمد الحدس او الظن او التخمين، بل نعتمد آخر ما وصلت اليه الدراسات اللسانية وفقه اللغة في هذا المجال. كما يتناول المعجم في هذا الجانب شكلها التاريخي اللاحق بعد

---

(62) معجم اوكسفورد التاريخي .OED. XXX –
– Collier's Encyclopedia, V.8 P.193 ،
و د. نصار 767، 777، ود. الطيب 504.

(63) معجم اوكسفورد التاريخي .OED, XXX –
– Encyc. Brit. V.5, P. 721. و

(64) معجم اوكسفورد التاريخي .OED, XXX –
– Encyc. Brit, V.5 P. 720. و
– Collier's Encyclopedia, V.8, P. 193. و
– New Age Ency., V.6, P10. و
ود. نصار (عن مشروع فيشر 778)، و764، 776.

تعريبها، اي ما طرأ عليها من تغيير على مستوى الاصوات او البنية، وما تعرضت له بعد دخولها العربية من تغيير لاحق ايضا، والمشتقات منها، ان حدث مثل ذلك، مثل: تلفزة وتلفاز، وبرنامج متلفز. . . الخ. مع اضافة حقائق متنوعة تتصل بتاريخها، وعمرها، وهجرها، واحيائها وتحديثها، وتغيير نطقها وبنيتها، واختلاطها بكلمة اخرى مثلا.

6 ـ تصريف الكلمة وتحديد نوعها من اقسام الكلام، وجمعها أو جموعها، ومصادرها والاهتمام بالسماعي والشاذ من كل ذلك بشكل خاص[65]، واشتقاقها او جمودها، وغير ذلك.

7 ـ تحديد وظيفتها النحوية ـ التركيبية: ونعني بيان اعرابها ان كانت مبنية، او تلزم حالة اعرابية واحدة، وبيان موقعها في الجملة، ان كانت تلزم موقعا محدّدا دائما، وعملها وتأثيرها في الكلمات بعدها في الجملة، ان كانت من العوامل. واللزوم والتعدي في الافعال، وتعديها بحرف او بنفسها، والملازمة للاضافة او القطع عنها في بعض الاسماء والظروف.

كل هذه المعالجات ـ على صعيد الكلمة ـ يجب ان يحتويها المعجم ويغطيها، وفق اسلوب التتبع التاريخي مستندا الى الشواهد والاقتباسات التوضيحية. ولابد من القول ان البحث يميل الى قبول كل الالفاظ التي وجدت واستخدمت فعلا، حتى لو كانت منحولة مصنوعة، او محرفة، ان استخدمت على تحريفها وحالها، ووردت على تلك الصورة المحرفة في نصوص مكتوبة، وكذلك الالفاظ العامية، وكل ما جاء في المستوى المكتوب.

---

(65) معجم اوكسفورد .OED, XXX ـ
ود. نصار (عن فيشر 778)، وباقي المراجع السابقة.

(66) معجم اوكسفورد .OED, XXIX ـ
ود. نصار (عن مشروع فيشر 779). و. Encyc. Britannica, V.5, P.720 ـ

ثانيا : المعاني

تشمـل هذه القضية جلاء الشرح ووضوحه وعدم الخلط فيه، اضـافـة الى تسجيل معاني الكلمات كلها، مرتبة ترتيبا منطقيا تاريخيا حسب ظهورها استنادا الى الاقتباسات والشواهد المكتوبة المتوافرة.

فيجـدر بالمعجم ان تكـون شروحه سليمة خالية من الاخطاء العلمية، او تناقض آراء العلماء السابقين واختلافاتهم حول معنى مادة معينة[67].

كما ينبغي ان تكون الشروح واضحة جلية، خالية من الابهام وسوء التفسير، كما جاء في المعجمات القديمة ـ مثلا ـ «الحمض: نبات معروف»، او عن حيوان غريب معين: حيوان معروف، او عن نبات: نبات صحراوي، أو دويبة في الارض... وما أشبه ذلك، وهذا يمثل الابهام، وقصور العرض، وهو عيب من عيوب المعجمات، لابد من تجاوزه[68].

ويقول د. أنيس في هذه القضية: «وفي الحق ان كثيرا (جدّا) من الالفـاظ في المعـاجم قد اهمل شرحها اهمالا شنيعا، فجاءت دلالتها غامضة او مبتورة، **وبعدت عن الدقة** التي هي من اهم صفات المعجم الجيد...»[69].

وقـد قرر فيشران المعجـمات القـديمـة قد اضطربت في شرح مدلولات الالفاظ، واتصفت بعدم الدقة في هذا الشرح، كما اختلف اصحاب تلك المعاجم في مدلولات كثير من الالفاظ، مما ادّى الى سوء الفهم لكثير من النصوص[70].

---

(67) الشدياق / 3، د. الخطيب 74، 75، 98، د. عمر 191، د. درويش 159، د. يعقوب 185، د. الطيب 511، أ.الخطيب (من قضايا المعجمية المعاصرة) 606 وما بعدها.

(68) د. نصار 758 ـ 759، د. عمر 117، 192، د. يعقوب 185، د. عبد الرحمان 94، وغيرها.

(69) د. أنيس/دلالة الألفاظ 249 ـ 250.

(70) نفسه 249.

وحـــول هذه الـقضية، لابـــد من ان تكـــون شروح المعجم وايضاحاته خالية من الغموض او الابهام او اللبس او الخطأ، اذ انّ وظيفتـه ـ أساسا ـ هي الجلاء والوضوح، فالمعجم هو الكتاب الذي أزيلت العجمة فيه، وذهب الخفاء منه[71].

وحريّ ان نتمسك بالتناظر والمماثلة في الشرح، فحينما نشرح اسم يوم من ايام الاسبوع او اسم شهر من شهور السنة مثلا، ان نشرح بقية الاسماء المماثلة.

وعلينا ان نستعين بالصور والرسومات المساعدة المعبرة كلما كان ذلـك ضروريا مقبـولا، وان تكـون لغـة الشرح سهلة، وان نستعين بالشواهد والاقتباسات لتوضيح المعنى المقصود، والعناية بشرح المعنى المعجمي بطريقة منطقية، ولعل الطريقة المثالية هي استخدام طريقة تعريف اللغة باللغة، ولكن هذه الطريقة ليست متاحة دائما للاستخدام العام، فيمكن إنشاء ألفاظ خاصة مناسبة للتعريفات، ولابد ان تدور هذه الالفاظ حول مصطلحات غير معروفة[72].

ولابد من العناية بالمترادفات في شرح معاني الكلمات، لما لها من فائدة تهم الباحث والقارىء والكاتب، على ان تعطى امثلة توضح الى اي مدى ترادف الكلمـة مرادفتها، وفي أيّ معنى تلمح الى شيء ما مختلف. . . على ان تكـون الكلمـة الشـارحة المرادفة اوضح، واكثر شيوعا واستخداما من الكلمة المشروحة[73].

وقد علّل وبستر (Webster) العناية بذكر المترادفات: «بأنه يريد ان يبين الفروق بين المترادفات في الاستعمال، حتى يحسن الكاتب وضع كلماته واستعمالها»[74].

---

(71) د. فاخر 6.

(72) Encyc . Brit., V.5, P. 720 -

(73) Collier's Encyc., V.8, P. 193 –

(74) عن د. نصار 775.

كما علل ثورندايك (Thorndike) في قاموسه هذه الاهمية أيضا: «بأن بعض الكتاب او المتكلمين مضطرون الى الاكثار من استعمال لفظ معين، فيصبح مملولا، ويجمل ان يستبدل به غيره»[75].

أما عن المعاني: فلابد من ان تسجل المعاجم المعنى في الاستعمال الجاري، مستندة الى الاقتباسات والشواهد، كما تسجل كل المعاني التي عرفت لكلمة معينة، وان ترتبها ترتيبا مناسبا.

وفي هذا المجال جاء في موسوعة كولير (Collier): «ان معظم المعجميين يوافقون على ان المعاجم لا تقرر المعنى الحقيقي للكلمات ولكنها تسجل الاستعمال الجاري فكلمات جديدة تبتكر وكلمات قديمة تكتسب دلالات جديدة، فكما في معجم 1970م العامي، جاء تعريف (معنى) «heavy» مهم او خطير. لذلك، فان المهم لوظيفة المعجم ان يسجل التغيرات او الاضافات في المعنى»[76].

وقد المح د. أنيس الى هذه القضية بقوله: «... وتقتنع كل لغة بذلك الفهم التقريبي للدلالات، ويقنع معها اللغوي عادة، بما يشيع بين الناس من دلالات قاصرة، فيصنع معجمه ويفسر ألفاظه على قدر فهم جمهور الناس لها»[77].

ويؤكد هذا المعنى في موضع آخر ويوضحه، بقوله: «ومع قدر من هذا التسامح والتنازل، يستطيع اللغوي ان يحدد الدلالات في معجمه، وان يقول ان لفظ كذا مدلوله في اللغة العربية مثلا هو كذا، دون التعرض لقوة هذه الدلالة او ضعفها، ودون الاشارة الى وضوحها او ابهامها، لان مرجع كل هذا الى الافراد وتجاربهم المختلفة»[78].

وفي هذا المجال، ينبغي للمعجم العربي التاريخي المنشود ان

---

(75) نفسه.

(76) Collier's Encyc., V.8, P, 193. –

(77) د. أنيس/دلالة الألفاظ (ط 3) ـ ص 103.

(78) نفسه 105.

يتتبع المعاني المختلفة للكلمة زمنيا، وان يرصدها معتمدا على الشواهد والاقتباسات المكتوبة، وان يسجل كل تغير أو إضافة أو نقص في المعنى بين عصر و آخر، أو استخدام وآخر، وان يعرضها مرتبة وفق طريقة منطقية مقبولة.

ويميل كثير من الباحثين الى ان تكون المعاني الحقيقية اولا، وتتبعها المعاني المجازية، ويراعى ايضا ان يدون المعنى الشائع العام قبل المعنى الخاص، لأن الشائع هو الأكثر استخداما، ويعني جمهور الناس أكثر من الآخر.

وأن تدوّن المعاني الحسية القريبة قبل العقلية المجردة[79].

وجاء في مقدمة أوكسفورد التاريخي (OED) ان النظام الذي تطورت وفقه هذه المعاني، هو اهم الحقائق في تأريخ الكلمة، ولكن كشفه وابداءه يتطلبان أشق الواجبات في المعجم الذي يهدف الى اعطاء هذا التاريخ. فلو كانت التدوينات التاريخية كاملة ـ اي لو امتلكنا امثلة مكتوبة لجميع الاستعمالات لكل كلمة منذ بداية وجودها ـ لأمكن لهذه المعاني كشف تطور معقول او منطقي، فالسجل التاريخي ليس كافيا ليقدم هذا، لكنه كاف ليمكننا من تخمين النظام الحقيقي[80].

ويجب التنبه الى معاني الكلمات المعربة او الدخيلة، وتطور هذه المعاني في لغتها الاصلية، وتطورها في العربية بعد تعريبها او دخولها، اذ قد يسجل اختلاف بين معانيها في الاستخدامين واللغتين ـ الاصلية والعربية ـ. وجاء في الموسوعة البريطانية ان مهمة المعجمي صعبة في تحديد دلالات المعاني المختلفة، وكيفية ترتيبها، فثم منهج التطور التاريخي في تتبع تطور المعاني المختلفة للكلمة، ويتطلب تتبعا لتطور المفاهيم عبر العصور، وهي مهمة صعبة.

---

(79) موسوعة كولير 8/193، فيشر (عن د. نصار ـ 779)، د. يعقوب 185، 186، د. الطيب 511، أ. الخطيب 625.

(80) OED, P.XXXI. –

وهناك منهج يقوم على الطريقة الاحصائية للدلالات، اذ تسجل المعاني الاكثر شيوعا واستخداما أولا.

وثم منهج ثالث، هو منهج التطور المنطقي للمعاني اذ غالبا ما يكون للمفردة معنى حقيقي، تطورت عنه المعاني المجازية الاخرى، وقد اتبع محررو معجم أوكسفورد هذا المنهج [81]، وهو مناسب ومفيد في تتبع تطور المعاني والمفاهيم.

وينبغي للمعجمي ان يتنبه الى ضوابط استخدام الكلمات في معجمه (Usage Labels)، اذ إن هناك تنوعا في استعمال اللغة في ابعادها المختلفة المتعددة: كالبعد الزمني، والجغرافي، او الثقافي، او الاجتماعي... وغيرها ولا يمكن - وفق هذه الابعاد - اعطاء حكم صحيح تماما في دلالات اللغة وان أولئك الذين يعمدون الى الحسم في قراراتهم لا يدركون كيف تعمل اللغة[82].

وهنا تبرز أهمية السياقات والشواهد والاقتباسات في توضيح دلالة المعنى، فيجب ان نفسح المجال لهذه السياقات لنفهم معنى الكلمة المراد من الامثلة التوضيحية المصاحبة.

وثم قضية اخيرة في باب الشرح والمعنى حول المعاني المجازية للكلمة، وقد اثارها د. عمر في نقده شرح الزمخشري في «أساس البلاغة»، اذ قال: «إنه ثبت المعاني الحقيقية والاخرى المجازية، مع ان المجاز والحقيقة في حركة دائبة، ويتبادلان مراكزهما»[83].

فماذا قصد الدكتور بتبادل المراكز؟ فهل يكون المعنى الآن مجازيا، ثم ينتقل بعد مدة ليصبح حقيقيا؟ او: هل يكون مجازيا لدى فئة او طبقة، ويكون حقيقيا في الوقت نفسه لدى فئة او طبقة اخرى.

أقول: لعل التسلسل التاريخي في تتبع المعاني وتدوينها من

---

(81) Encycpaedia Britannica, V.5, P.720. –

(82) نفسه 721.

(83) د. عمر/145.

نصوصها وسياقاتها يحل هذه الأشكالية.

وجاء في الموسوعة البريطانية ما قد يكون قريبا مما تقدم وهو: «أن المعجميّ يصنف الاقتباسات في مجموعات بناء على ما بينها من اوجه شبه او اختلاف، ومن الممكن ان يسقط من الاعتبار الامثلة التي تعبر عن معان انتقالية ـ غير مستقرة ـ كالمعاني المجازية، فهي تشكل تعقيدات للعلاقات القائمة بين المفردات ومعانيها»[84].

ولابد من الافادة في هذا المجال بالدراسات اللسانية الحديثة التي توصل اليها في علم المعنى، ووجهات النظر في المعنى المعجمي والمعنى السياقي وغيرها لمفردات اللغة.

ثالثا : الاقتباسات والشواهد

قد يكون هذا الجانب من محتوى المعجم المنشود اخطر الجوانب فهي روح العمل، اذ انها تبين صورة الكلمة وصيغتها التي كانت شائعة، وما طرأ عليها من تغير خلال القرون. كما تظهر عمر الكلمة بشكل عام، وعمر معانيها المختلفة بشكل خاص، والكلمات والمعاني المهجورة المماتة، ومتى هجرت ـ على وجه التقريب ـ ومتى تم احياؤها، او اكسابها معنى مختلفا، ان حدث ذلك.

وينبغي ان ترتب الاقتباسات ترتيبا زمنيا، يتفق وترتيب المعاني للكلمة او العبارة الواحدة، وان يحفظ رسم الكلمة ـ صورتها ـ كما وردت في كل اقتباس، لانها تمثل جانبا من ثقافة العصر ومعرفته.

ويجب الا ينسى ان هذه الاقتباسات ليست مجرد امثلة توضيحية، بل توضح اصل الكلمة واول معانيها، واختلافهما التدريجي الزمني.

وللمحافظة على حجم معقول للمعجم ضمن حدود عملية، يجب الاقتصار في الاقتباسات على اقل قدر مختار وممثل للغاية من المادة

---

(84) – Encyc. Brit. V.5, P. 720.

المجموعة، وان تكون هذه الاقتباسات موجزة قدر الامكان، ويمكن احالة القارىء لمعرفة السياق الكامل وفهمه على الكتاب او العمل الذي اقتبسنا منه، لذا فمن الضروري الاشارة الى اسم الكاتب والكتاب والطبعة وتاريخ النشر، ورقم الصفحة والسطر او البيت، في نهاية كل اقتباس بدقة متناهية.

وعلينا ان نحرص على الاقتباس من الطبعات الاولى والاقدم لكل كتاب، لانها قد تحفظ لنا صورة الكلمة كما جاءت عن صاحبها[85].

ولابد ان تتسع مراجع المعجم التي يقتبس منها، لتمثل كل مراحل وجود اللغة المكتوبة ومستوياتها المختلفة، منذ بدء التدوين في لغة النقوش المحققة الموثقة حتى الآن.

وتؤكد جميع الدراسات الحديثة أهمية السياق والاقتباسات في توضيح معنى الكلمة، فقد ذكر كريستال «أن اللغة تستمد معناها الى حد كبير من خلال استعمالها في مواقف الحياة الواقعية، اذ ان اللغة ليس لها وجود مستقل عن الذين يستعملونها، ومواضع تلك الاستعمالات، فنحن نقرأ المعاني المستقرة في الجمل والكلمات بالنظر الى كيفية استعمالها. وان مجموعة متعاقبة من الاصوات تظل بلا معنى حتى نرى كيف يستعملها الناس، ومدى صلتها ببعض جوانب تجربتنا في الحياة»[86].

وتأكيدا لخطورة الاقتباسات ـ الشواهد التوضيحية ـ في المعجمة، فقد خصصت لها الموسوعة البريطانية عنوانا مستقلا، وذكرت انه لا يجوز للمعجمي ان يكتفي بالنقل عن المعاجم الاكثر قدما، ويجدر ان تمثل الاقتباسات اقدم اقتباس واحدثه حول كلمة معينة او معنى معيّن،

---

(85) انظر في ذلك كلّه معجم أوكسفورد التاريخي / الايضاحات العامة في المقدمة ص XXXII

(86) كريستال / التعريف بعلم اللغة ـ ترجمة د. خليل ـ ص 145 ـ 146.

ليتضح من خلالها موت بعض الكلمات او استمرارها في الاستعمال، ومن الخطأ الاقتصار في الاقتباسات على كبار الكتاب، اذ غالبا ما تكون استعمالات الكتاب العاديين او الانسان العادي ادل على حقيقة معنى الكلمة.

ويمكن الافادة من هذه الاقتباسات في دراسات لغوية واجتماعية وتاريخية وتربوية مختلفة، فهي لها اغراض تفوق توضيح معنى الكلمة، وهي تشكل الادلة الاساسية التي تمكن من الوصول الى النتائج الصحيحة[87].

ويجب ان يختلف الغرض من استخدام الشواهد والاقتباسات عنه في المعاجم القديمة. فغرض القدماء كان التعبير والحكم بالصحة او الخطأ اما غرضنا هنا فجلاء المعنى ووصفه، ووصف صورة الكلمة وصيغتها واستخدامها، ولا يهمنا التعيير، بل الوصف هو هدفنا من هذه الشواهد، واستشفاف بعض المعلومات الاضافية.

وعلينا ان نحرص على الشواهد الدقيقة الصحيحة الموثقة، والاقتصار على محل الشاهد والضروري من التركيب الذي يفصح عن معناه، وعدم تكرير ذكره، او ذكر ما قبله وما بعده من الابيات، لئلا يؤدي هذا الى تضخم غير مطلوب في المعجم[88].

وقد أكدت موسوعة كولير هذه الخطورة للاقتباسات والشواهد، فخصصت عنوانا مستقلا ايضا، اطلقت عليه «ملف الاستشهاد ـ الشواهد (الاقتباسات)»[89]، جاء فيه: «ان دم الحياة لأي مشروع معجمي موثوق وعميق هو ملف شواهده، الذي يساعد المعجميين في تقرير درجة سيرة اي مصطلح ومعناه وتهجئته، وبخاصة المصطلحات الجديدة، او المعاني الجديدة التي ألحقت بالمصطلحات المستحدثة.

---

(87) – Encyc. Brit. V.5, P. 721.

(88) د. الطيب 513.

(89) – Collier's Encyc. V. 14, P. 534. (Lexicography).

. . . ويجمع هذا الملف فريق من القراء المدربين، الذين يتابعون الصحف والمجلات والدوريات العلمية بانتظام، والكتب القديمة من كل التخصصات، والفهارس والمواد المطبوعة. . . ومثل هذه الشواهد تساعد المعجمي في تقرير حالة الاستعمال، بتنوّع المقام (البيئة)الذي وجدت فيه».

كما تنبه الى أهمية الشواهد ـ الاقتباسات ـ في العمل المعجمي كل الدارسين والباحثين، عربا كانوا او أجانب، وقرروا ان المعجمة السليمة في جوانبها المختلفة في اي معجم شامل كبير لابد ان تقوم على الشواهد[90].

والمعجمة الحديثة تقوم على جمع اكبر عدد من الشواهد من كل المستويات المدونة، وكلنا يعلم ان معجم أوكسفورد (O E D) جُمِعَ له ما يقرب من خمسة ملايين اقتباس، وضمن فعليا ما يقرب من مليونين.

ولعل ما أورده الاستاذ احمد شفيق الخطيب في بحثه «من قضايا المعجمة المعاصرة» ان فيشر جمع (575) مثلا على استخدام لفظة (كل)، و(578) مثلا يعده لفظ (كان)، و(17700) احالة على الاخطل وحده، وان مشروع المعجم الذي يعده المركز القومي الفرنسي (نانسي) قد جمع له في عشر سنين اكثر من (250) مليون شاهد[91]، لعل هذا يؤكد لنا ان المعالجة الحديثة تقوم على الشواهد ـ الاقتباسات ـ لما لها من شأن على مستوى الكلمة بكل جوانبها، والشرح، والمعاني والدلالات.

وأخيرا، لابد من ترتيب محتويات المعجم التاريخي العربي ترتيبا مقبولا، ونرى ان هذا الترتيب على مستويين:

---

(90) فيشر (عن د. نصار 778، وعن د. درويش 138 وما بعدها، وعن د. عمر 200)، ود. نصار 765، 777، د. يعقوب 181، 186، د. الطيب 512 – 513، أ. الخطيب 618 وما بعدها.

(91) أ. الخطيب (في المجمعية العربية المعاصرة) 621.

أ ـ مستوى ترتيب المواد والمداخل (الترتيب الخارجي): يحسن ان ترتب مواد المعجم ألفبائيا بعد تجريد الكلمة وردها الى اصولها لنحفظ تجميع مفـردات الاسرة اللغـوية الواحدة، بوضع مشتقات الجذر كلها تحته ولنتمكن من لمح العـلاقة القائمة بين المفردات الشقيقة ذات الاصل الواحد، على مستوى الصيغة ـ الصورة ـ وعلى مستوى المعنى.

ب ـ ترتيب المشتقات تحت المادة الواحدة (الترتيب الداخلي):

لعل الترتيب الذي أشار اليه فيشر في مشروعه مناسب، بأن يبدأ في المادة بايراد الفعل المجرد، ثم المزيد بحرف، وحرفين، وثلاثة، ثم وضّح ترتيب هذه الافعال حسب حركات عينها وصيغها، ثم ذكر ترتيب الاسماء، بأن تقع بعد الأفعال، مشتقة كانت او جامدة، ونرتبها ايضا، حسب النظام الذي اتبعناه في الافعال، فنذكر المجرد أوّلا، ويتبعه المزيد. . . [92].

ويجب أن يعني بالترتيب على مستوييه لما له من فائدة وأهمية، في حفظ وقت الباحث الذي يعود الى المعجم، وفي ضبط عملية الرصد والتسجيل، فلا نضيع شيئا من المادة اللغوية، ويكشف عن العلاقة بين مشتقات المادة الواحدة.

بعـد عرض ابرز القضايا على مستوى مفهوم المعجم التاريخي العربي المنشود، ووظيفته، ومحتواه، لابد من التنبه لبعض المسائل ذات العلاقة والتنبيه عليها، ومن ابرزها.

ـ ان في نفوس افراد المجتمع موقفا اصيلا راسخا يميل الى المحافظة على لغتهم وخـدمتها، اذ توجد نظرة أفلاطونية لدى الناس، ترى ان ثمّ شكلا قديما مثاليا للغة ابتعد عنه الافراد، فهم يعتقدون ان المعاجم ستُقرّبهم من تلك اللغة المثالية القديمة الكامنة، وان هناك لدى الأفراد رغبة قوية ان يكون الفرد منهم على يقين، وانه يبحث عن مرشد بين

---

(92) مشروع فيشر (عن د. درويش) 143.

الاشكـال اللغـوية المحتملة، ولكل هذا الاعتبارات، يرحب الناس بتلك القوى المسيطرة للمعاجم[93]. وهذا يؤكد مكانة المعجم في نفوس الناس، مما يشجع على صناعة المعاجم وبذل الجهود فيها.

ـ وضع خطة واضحة سهلة ـ قدر الامكان ـ يسير العمل بموجبها، على ان يكون منهج هذا العمل وصفيا، يسجل كل ما جرى في الاستعمال العام، وضرورة التزام الخطة بدقة متناهية في كل مراحل العمل، لئلا نقـع في ما وقع فيه غيرنا من المعجميين القدماء والمحدثين[94]، على مستوى جمع المادة وتصنيفها وشرحها وترتيبها وإخرجها.

كما أن إعـطاء خطوات العمل والتنفيذ اهتماما شديدا وحرصا بالغا امر حيوي للغاية، فالتنظير سهل ميسور، ونحن ـ معا ـ قادرون عليه، اما خطورة الزلل او النقص او الخلط فعلى صعيد التنفيذ والعمل.

ـ العناية بالاخراج وما يتصل به من نواح فنية وعملية[95]، كالطباعة، وحجم الحرف المستخدم وشكله، في المداخل، ومشتقاتها، ورسمها، والمعاني، والشواهد. وعلامات الترقيم الملائمة الهادية، والرموز والأرقام والاصطلاحات والمختصرات ودقتها. ونوع الورق وحجمه (قطعه)، وعـدد الاعمدة في كل صحيفة وتنسيقها، وتنظيم الفقرات وبدايات السطور، ودقة الاحالات، وقضية الرسوم والصور التوضيحية ودقتها ـ كلما كانت ضرورية ـ بعـد منـاقشـة القضية من اصلهـا، والقنـاعة بمنـاسبتها لهذا المعجم. ولنتذكر في هذا الصدد ان صناعة المعاجم (Lexicography) علم وفن في وقت واحد.

---

(93) – Encyclopaedia Britannica, V.5, P. 721.

(94) د. نصار 750 ـ 751، د. الخطيب 65 ـ 73، د. درويش 150، د. عمر 190، د. القاسمي/ترتيب مداخل المعجم (اللسان العربي) ص 14، د. يعقوب 180.

(95) انظر على سبيل المثال: د. نصار 749 ـ 750، د. الطيب 519، د. يعقوب 184، 186، 187.

ـ ضرورة ان يكـون المعجم دائـما على مستوى المعاصرة، حتى يبقى عصريا، ملائما لعصره وتطوره، منذ تصنيفه، ومستقبلا. وقد أشارت الى خطورة هذه القضية موسوعة كولير (Collier's Encyclopedia [96])، ويمكن تحقيق ذلك بإصدار ملحق للتنقيح والزيادة والاستدراك كل عشر سنين مثلا، تتولى ذلك لجنة مختصة، ويتم ذلك باستدراك كل لفـظة تستحـدث، او معنى يستجـد، أو تطور على أي مستـوى في محتـويات المعجم. ولنا أسوة حسنة في تحديث الموسوعات، وكما فعل الانجليز بمعجم أوكسفورد الذي صدر له حتى الآن أربعة ملاحق تقع في (4531) صحيفة.

ـ عدم الخلط بين وظيفة المعجم ووظيفة الموسوعة في المراحل التنفيذية، اذ إن بينهـما تداخـلا طفيفـا، وبخاصة ان كان المعجم كبيرا طموحا شاملا، وقد فرّقت الموسوعة البريطانية ود. نصار بينهما، فالمعجم لشرح الكلمات، والموسوعة لوصف الاشياء. ولكون الكلمات تشير الى أشياء، او تكتشف فائـدتهـا من الاشـارة الى الاشياء، يصبح من الصعب تصنيف معجم دون اهتمام بالاشياء، لكن يجدر التنبه ـ هنا ـ الى ان المعجم لا يصف من الاشياء الا ما لابـد منـه، إبـرازا لدلالة اللفظ واستعمالاتـه، كذلـك فان مفردات النوعين مختلفة، فالمعجم يحتوي اصنـاف الكلام جميعها، من اسماء وأفعال وحروف، ولا يعنى الا بما ينتمي الى اللغـة المؤلف لها. امـا الموسوعات فتعنى بالاسماء الخاصة وحـدهـا، اي اسـماء الاشياء والاعـمال، دون ان تتقيد بلغة معينة.

ويتصور البحث ان هكذا معجما شاملا هو موسوعة لغوية، يقدم كل شيء عن الكلمـة واللغة، بينما تقدم الموسوعة معلومات عن الاشياء والاسماء والاحداث.

---

(96) – Collier's Encyclopedia, V.8, P. 193.

(97) – Encyclopaedia Britannica, V.5, P. 713.

ود. نصار 770.

ـ وثم مسألة تناولها كثير من الباحثين، وهي ظاهرة التضخم في المعاجم، وينبغي القول انه يجب ألا تؤرقنا هذه الظاهرة، مادام المعجم لم يخرج عن وظيفته وغرضه، واللغة الواسعة الثرية سيكون معجمها الشامل التاريخي بالضرورة ضخما واسعا، ويتوقع البحث لهذا المعجم ان يزيد على خمسة وعشرين ألفا أو ثلاثين ألفا من الصفحات في طبعته الاولى، ان أردناه وافيا شاملا، «فالتمام او الكمال مهم للغاية، والصنف الأكثر كمالا من المعجمات هو المطول غيرالمختصر»[98]، ولكن من الضروري ان يبقى الاقتصاد في الحجم والضخامة نصب اعيننا دائما.

ـ أن يكون العمل جماعيا تعاونيا نشطا في الوقت نفسه، حرصا على الوقت الذي سيستغرقه المشروع، وان يبقى الحماس والنشاط وحفز الهمم مستمرا، لئلا نتوقف او نتعطل، لا سمح الله.

ومما يجدر ذكره، اننا مهما خططنا وتحوطنا بالدرس والمناقشة والاستذكار، فلابد من ان تبرز مشكلات وعقبات خلال العمل لم نتوقعها من قبل، فيجب ان نتوقع هذا ونتقبله، وان نكون على استعداد لمواجهته برحابة صدر وصبر، وبلا ضجر او ضيق لان هذا عمل ضخم واسع، والمشاركون كثيرون ومختلفون، وستكون هذه المشكلات متنوعة، على مستوى جمع المادة وحصرها، وتصنيف الكلمات، والمعاني، والشواهد ـ الاقتباسات ـ وغيرها. وهنا يبرز دور المعجمي المحنك الناجح والخبير، في التصدي لها بسرعة خاطر وبديهة، ووضع الحلول الناجعة السّليمة.

وفي الختام، فأنا وأنتم، كلنا ندرك اننا مقدمون على عمل كبير عملاق جبار، ولكنكم كبار، وهممكم عالية، والعمل الكبير لا يقدم عليه او يقوى عليه الاّ كبار، والواجب الضخم يسهل ويهون امام الهمم العالية.

وأنتم جديرون بهذا المشروع، ومعكم اخوانكم، وهم ألوف من

---

(98) – Collier's Encyclopedia, V.8, P. 193.

المختصين والمعنيين، اضافة الى ألوف كثيرة، وربما الملايين، من المثقفين والمهتمين في أمتكم، فأنتم أحفاد الخليل وابن منظور والزبيدي، والعمل سيكون مجدا للجميع.

وان كان مشروع معجم أوكسفورد الجبار، قد بدأ ـ أساسا ـ بمبادرة من شخص واحد، هو (F.J. Furnivall) فكلكم وكلنا فيرنيفال، ولدينا غيرة وحرص على لغتنا أكثر من غيرته على لغته، ولغتنا ـ لغة رسالة السماء وشريعتها ـ اجدر ان يكون لها، وفي خدمتها، اعظم معجم عرفته البشرية، يتجاوز معجم أوكسفورد وأمثاله، حتى نعيد مجدنا السالف في هذا المجال.

وأرى هذا الأمر متطلبا وواجبا قوميا وحضاريا، لا يحتمل التسويف والتأجيل، فالسنون تمر وتمضي، ومهما طال عمر هذا المشروع العملاق، فالسنون ليست مهمة في عمر الأمم والشعوب.

فالحاجة ملحة، والظروف مواتية، والقدرات البشرية والمادية يمكن توفيرها بسهولة، ولن تكون عائقا ان شاء الله. ورحلة الألف ميل تبدأ بخطوة.

فهل نطمع ان تكون جمعيتكم ـ جمعيتنا كلنا ـ «جمعية المعجمة العربية بتونس» العظيمة، هذه الجمعية الفتية بعمرها، الركينة المكينة بكم، هل نطمع ان يكون لها الشرف في تحمل مسؤولية القيام بهذا العمل العظيم والبدء بتنفيذه، كما كان لها شرف المبادرة بالدعوة اليه، وبذلك تدخل التاريخ، كما دخلته غيرها، فتوكلوا على الله سبحانه، ولنعلق الجرس.

د. علي توفيق الحمد
كلية الآداب / جامعة اليرموك / الأردن
وكلية التربية / جامعة الملك سعود
فرع أبها ـ السعودية
(غرة ربيع الثاني 1409 هـ)
(10 من نوفمبر 1988 م)

مراجع البحث

(أ) المراجع العربية

ـ أحمد : عبد السميع محمد (دكتور)
(المعاجم العربية ـ دراسة تحليلية)، الكتاب الاول، دار الفكر العربي بالقاهرة، ط2، 1393هـ/1974م.

ـ أنيس : أبراهيم (دكتور)
(دلالة الألفاظ)، مكتبة الانجلو المصرية، ط1، 1962م، ط3، 1965م
(في اللهجات العربية)، مكتبة الانجلو المصرية، ط 6، 1984م، القاهرة

ـ الجرح : محمد سالم
(النشاط العربي المعجمي ـ أصيل أم دخيل)، بحث في (مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة)، 28، 1971م

ـ جمعية المعجمية العربية بتونس:
(في المعجمية العربية المعاصرة ـ وقائع ندوة مائوية الشدياق، وبطرس البستاني ورينهارت دوزى) ط1، دار الغرب الاسلامي ـ بيروت، 1407 هـ /1987 م

ـ الحمزاوي : محمد رشاد (دكتور)

(الاستيعاب في المعجم العربي الاوروبي) بحث في (في المعجمية العربية المعاصرة)، جمعية المعجمية العربية بتونس ط1، 1407هـ/1987م
ـ الخطيب : أحمد شفيق
(من قضايا المعجمية العربية المعاصرة)، بحث منشور في «في المعجمية العربية المعاصرة» جمعية المعجمية العربية بتونس ط1، 1407هـ/1987م
ـ الخطيب : عدنان (دكتور)
(المعجم العربي بين الماضي والحاضر) ـ معهد البحوث والدراسات العربية، طبعة دار النهضة الحديثة بالقاهرة، 1967/1966 م
ـ خليل : حلمي (دكتور)
(التعريف بعلم اللغة ـ لدافيد كريستال) هوامش الترجمة العربية، ط1 الهيئة المصرية العامة للكتاب، الاسكندرية ـ مصر، 1979م
ـ درويش : عبد الله (دكتور)
(المعاجم العربية ـ مع اعتناء خاص بمعجم العين للخليل بن أحمد) مكتبة الشباب بالقاهرة، د.ت
ـ دوزى : رينهارت
(تكملة المعاجم العربية) جـ1 ترجمة د. محمد سليم النعيمي، نشر وزارة الثقافة والفنون ـ العراق، توزيع الدار الوطنية للتوزيع والاعلان دار الحرية للطباعة، 1978م.
ـ الشدياق : أحمد فارس
(الجاسوس على القاموس) القسطنطينية، مطبعة الجوائب، 1299هـ
ـ الطيب : عيد محمد (دكتور)
(معجمات العربية ـ مادتها ومناهجها)، مطبعة الامانة بالقاهرة، ط 1، 1405هـ/1985م.
ـ عبد الرحمان : شعبان عبد العظيم (دكتور)
(شذرات من علم اللغة)، مطبعة حسان بالقاهرة، ط1، 1404هـ/1984م.

ـ عمر : احمد مختار (دكتور)
(البحث اللّغوي عند العرب – مع دراسة لقضيّة التأثير والتأثّر)، عالم الكتب بالقاهرة، ط 2، 1396 هـ /1976 م، ط 4، 1402 هـ /1982 م.
– فاخر : أمين محمّد (دكتور)
(دراسات في المعاجم العربية)، مطبعة حسان بالقاهرة، 1984م
ـ القاسمي : علي (دكتور)
(ترتيب مداخل المعجم) بحث في «مجلة اللسان العربي» مجلد 19، العدد الاول، الرباط ـ المغرب
ـ كريستال : دافيد
(التعريف بعلم اللغة ط2)، ترجمة د. حلمي خليل، الهيئة المصرية العامة/الاسكندرية ـ مصر ط1، 1979م.
ـ بن مراد : إبراهيم
بحث (منزلة مستدرك دوزى) في (في المعجمية العربية المعاصرة) ـ جمعية المعجمية العربية بتونس ـ ط1، 1407هـ/1987م.
ـ نصار : حسين (دكتور)
(المعجم العربي ـ نشأته وتطوره) مكتبة مصر بالقاهرة ط2، 1968م.
ـ يعقوب : اميل (دكتور)
(المعاجم اللغوية العربية بداءتها وتطورها) دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1981م.

(ب) المراجع الأجنبية

– Academic American Encyclopedia, (V.6), Princeton, New Jersey, U.S.A., 1980.

– Collier's Encyclopedia, V.8,14. Macmillan Educational corporation, New York, P.F. Collier.

– Collins Large Print English Dictionary, Editor in Chief, David B. Guralink, 1980, First published in this edition, William Collins Sons and Company, Glasgow , Great Britain.

– Everyman's Encyclopaedia, (V.4), Fifth Edition, London, J.M. Dent and Sons Ltd., 1967.

– Encyclopaedia Britannica, (V.5), founded 1768, 15th Edition, Helen Hemingway Publisher, 1973 - 1974.

– New Age Encyclopedia, (V.6), 1980.

– The Oxford English Dictionary, (V.1,3,6), Editted by, James A.H. Murray, Henry Bradely, W.A. Graicie, C.T. Onions, Oxford, At the Clarendon Press, Third Edition.

– Webster's Third New International Dictionary. - Unbridged -, Copyright, 1971, By : G. And C. Merriam Co., U.S.A.